701 يوم

كيرلس محسن

إسم الـــــكتـاب : 701 يوم

إسم الكـــــاتـــب : كيرلس محسن

تصميم الغلاف : عمرو علاء الشافعي

مدقق لغوي : كارم أحمد

رقـــــم إيـــــــداع :

ترقيم دولـــــــي:

شارك سطورك مع العالم

701 يوم

كيرلس محسن

The Writer Operation

شارك سطورك مع العالم

إهداء

تحية طيبة وأما بعد، بخالص تعازيَّ المتواضعة أهدي هذا العمل إلى كل أهالي ضحايا فيروس كورونا المستجد (covid ١٩) حول العالم الذي وقعت على إثره العديد من الوفيات، وإلى وقت كتابتي تلك الكلمات يصاب به الآلاف كل يوم، راجيًا من الله التعزية والسلام لأهالي الضحايا، وداعيًا الله أن يرفع عنَّا شر الوباء ويعطينا جميعنا الصحة، والحمد لله على كل حال.

باقة شكر

في تشجيعي إني أكمل كتابة

شكرًا بجد لـ

« لن أذكر أي أحد باسمه لأسباب تخص خصوصيتهم واحترامى التام لها، ولكني أرسل لهم كل مشاعرى الدافئة بخالص الشكر والتقدير التام لكل مجهوداتهم التي تنم عن محبة قلوبهم لذاتى المتواضعة، ولا أستثنى أحدًا ما كل كلمة صغيرة، وكل رسالة عابرة تحمل بداخلي مكانها الخاص، وأؤكد شكري وتقديري التام لهم جميعًا».

تمر بنا العديد من الأحداث والمواقف في حياتنا اليومية منها ما قد يرقى إلى أن يصبح تجربة مؤثرة ونتأثر بها، ومنها ما قد يكون لا شيء يُذكر حتى، ولكن المواقف التي نتوقف عندها هي ما تجعلنا على ما نحن عليه اليوم، وصغائر تلك المواقف تصنع كبرى التغييرات، تذكر هذا دائمًا، المواقف الصغيرة هي ما تصنع كل تلك التغييرات الكبيرة، مجرد انحراف لعجلة القيادة، إشارة سالبة صغيرة، زر صغير لمفجر ما... الأمر لا يتخطى مجرد لحظات، وعندها تتعايش مع ذلك التغيير زمنًا طويلًا للغاية قد يصل حتى هذا الصباح، إذ انتفض بطلنا بقوة على صوت منبه هاتفه الذي حمل رنينه بصوت عالٍ للغاية، وإذا به يقوم مسرعًا لإيقافه قبل أن يوقظ ابنته من النوم، لم يكن متأخرًا على شيء من الأساس فاليوم هو الجمعة، إنما اعتاد الاستيقاظ باكرًا لأداء بعض التمارين الرياضية كل صباح، ولكنه كان قد تأخر في النوم تلك الليلة لا أكثر، نهض متكاسلًا وهو ذاهب لإعداد الفطور، البيض المسلوق والسلطة هما فطوره المفضل وخياره الأول، كان قد انتهى من فطوره حين سمع صوت ابنته الصغيرة ذات الست سنوات قائلة:

- صباح الخير يا بابا، هنروح فين النهاردة؟ اوعى تقول لي هنزور خالتو دي.

كما ذكرتُ، اليوم هو الجمعة، وقد اعتاد أن يقوم بإخراجها كل أسبوع في إجازته ويقضي اليوم معها، فأجابها قائلا:

- هههه ليه بس كده طب إيه رأيك؟ هنزور خالتك، مالها خالتك يعني الست زي الفل وبتحبك.

بدت وكأنها تفكر لثوانٍ.

- يا بابا بقى مش باحب أروح عندها أصلًا، تعالى نزور عمو وطنط مروة مراته بقى.

- ماشي يا بسنت، كلامك سمع وطاعة، أنا فاكر وعدي ليكِ من الأسبوع اللي فات.. تعالي لما ألبِّسك.

خرجت متراقصة كعادتها وهي تشير بإصبعها قائلة:

- الفستان البني بتاعي كمان عشان بحبه.

- كمان؟! ده أنتِ طلباتك كترت أووووي بقى.

ضحكت وهي تهم بخلع العباءة الخاصة بها.

- وأنت هتنفذ، بص أنا أقول وأنت تعمل اتفقنا؟

تعجب منها قائلًا:

- هو مين اللي بيربي مين أنا عاوز أفهم بس!!

- أنت اللي بتربينى عادي ما أنا بنتك يعني، بس أنت اللي هتسمع الكلام عشان أنا باسمع كلامك.

كانت بالفعل قد ارتدت الفستان، وبدأ هو في تصفيف شعرها كما تحبه ضفائر مطولة وكثيرة للغاية كعادة نساء البلاد الإفريقية، كان في البدء يمل الأمر جدًّا، لا يجيده كما تريده هي ويستغرق في الأمر كثيرًا من الوقت، لكن كلما رأى فرحتها بتلك الضفائر أصبح لا يتوانى أبدًا أن يضفر لها شعرها بسرعة وإتقان في اهتمام بالغ، حتى اعتاد الأمر.

- بابا؟

- أيوه يا بسنت...

- يا باباااا يا باابا.

- أيوه يا بسنت يا بسنت.

بدأت تلح وتلحن صوتها بنغمة يدركها جيدًا.

- يا بباااابا بقى.

- نعم يا بسنت.

تعالت ضحكاتها

- نعم الله عليك، ههه ضحكت عليك.

- خلاص مش هاكمل لك ضفايرك بقى، طالما هي كده بقى.

- براحتك يا بابا، خليني أنزل الشارع كده والناس تتريق عليك تقول اللي ما بيعرفش يضفر أهو أهو..

- طب تعالي خلينا أكمل لك الضفاير دي.

- مااشي وانجز بقى خلينا نخلص، هنتأخر على طنط مروة.

- لا يا بسنت مش هنتأخر ولا حاجة.

بدأ في الإسراع قليلًا بعد، فقد أوشك على الانتهاء، لم يسأل أبدًا عن سر تعلقها بزوجة ابن عمه، هي وحيدة دون أبناء، وابنته دون أم، وهكذا كانت المعادلة بتلك البساطة، ارتدت حذاءها ونزلَا أسفل

البيت، وهمَّا بركوب السيارة وهو يفتح لها الباب وهي تقول له:

- اتفضل اركب يا بابا، ما احنا لازم نسكن آخر الكوكب عشان نضيع اليوم في الطريق.

- أنتي بتبطلى لماضة إمتى يعني؟

- هههه لا مش ببطل لماضة خاالص.

- بقول لك إحنا نسينا حاجة صح؟

كان يشير إلى محرك السيارة ففهمت مقصده، وردت:

- آه نزود العربية ميا يووه نسِّتني...

ذهبت مسرعة تتناول إحدى الزجاجات المليئة بالمياه لتزويد السيارة ماءً، ضحك منها رغم صغر سنها لكنها تفيض بالحياة والحماس في كل ما تفعله، رفع لها غطاء المحرك وترك لها متعة تزويد السيارة بالماء، ثم ركبا السيارة وأدار محركها منتظرًا أن ينطلق بها بعد قليل، عندما رن هاتفه الجوال برد فعل طبيعي تناول هاتفه ليرى تنبيها خاصًا لتذكيره بميعاد هام مصحوبًا برسالة صغيرة «عليك بالذهاب الآن.. اذهب فقط لا تفكر كثيرًا» هي رسالة صغيرة لكن كما قلت لك، تحمل المواقف الصغيرة أكبر التأثيرات في حياتنا، وهذا ما دفعه إلى الإخلال بعادته ونظر إلى فتاته قائلًا في نبرة جدية مليئة بالحزم:

- بسنت!.. في مشوار مهم النهارده، بس أوعدك هنروح عند طنط مروة الأسبوع الجاي.

بدأت في الغضب وفي الصراخ.

- لا أنت بتضحك عليَّ... الجمعة اللي فاتت وعدتني.

نظر إليها في حزن ولم يقدر على الجواب أو لم يعرف جوابًا مناسبًا لطفلته، على أي حال تحرك بالسيارة إلى وجهته الجديدة، وهي لم تكف عن الصراخ، تسكت وهلة وترجع إلى نوبة غضبها مرة أخرى، حتى هدأت من غضبها ثم قامت بسؤاله:

- طب الأسبوع اللي فات سبتنى في البيت وجت واحدة كده قعدت معايا ما اعرفهاش.

- دي طنط فاطمة يا بسنت، هي بتحبك وماسكة الشغل بتاع بابا، ما أنا قلت لك كده، ومن حبها فيكِ جت تقعد معاكِ.

- بتحبني أووي أيوه.. الأسبوع ده بقى هنروح فين؟

بدأ يبحث عن إجابة مناسبة، لكنه لم يكن متأكدًا من ميعاده حتى إنه يغامر لا أكثر، فأجابها:

- رايحين مشوار، بس مش عند طنط مروة المرة دي.

- ممر على فكرة أنا زعلانة منك.. مش بكلمك مخاصماك.

- بسنت!

- مش هرد.

ومالت برأسها مستندة على باب السيارة وتركت نفسها للنعاس كعادة والدتها تنام في السيارات بكثرة، وأكمل هو في الاتجاه إلى وجهته وداخله موجة كبيرة من التساؤلات عما إذا كان ما يفعله سيجدي نفعًا تلك المرة أم لا.

****

- ها يا حبيب يا حبيبي خلصت التويلت ولا لسه؟

- ههها.. استنى شوية بعمل حمام يا ماما بقى.

- يعني مش بتلعب بالفون بتاعك جوه.. مثلًا؟

بدأ يخفض من صوت لعبته المفضلة.

- لا يا ماما مش بلعب.

- أمَّال إيه صوت اللعبة اللي شغال ده يعني؟

- لا صدقينى طب.

- يلا بقى اطلع من عندك.

قالتها بنبرة بها شيء من الحزم.

- حاضر يا ست ماما أهو.

بدأت هي في تغليف الغداء الخاص به والعصائر كمن يذهب في رحلة، مع شاحن الهاتف الاحتياطي «باور بانك»، وغيرها من الأغراض في حقيبتها الكبيرة نوعًا ما.

- ها يا ماما رايحين فين؟

- مش اتفقنا اليوم النهارده بتاع مامي وبس.

- حاضر يا مامي.

- خد هنا تعالى أعدل لك هدومك دي.

بدأت في هندمته وتصفيف شعره وإدخال القميص داخل البنطال وربط حذائه في حنان بالغ، وأثناء ذلك تدب فيها المشاعر متدفقة بغزارة، ذلك اليوم وكل يوم لا تترك للأمر الأهمية بداخلها، لكن اليوم تشعر أنه يومها حقًّا، بدأت بالنزول ومتابعة الطريق لسيارتها وتركت المحرك، وكان حبيب هو من يتولى أمر نظافة السيارة في نشاط ملحوظ، كان يحمله عم عبده المسؤول عن الجراج ويتركه يلمع الزجاج في حماس جميل، وأشارت إليه

قائلة:

- يلا يا حبيب كفاية كده.

- ثواني يا ماما بقى هههه المرايات مش نضيفة.

- طيب يا سيدي براحتك.

تناولت من حقيبتها ورقة بخمسين جنيهًا وناولتها لعمر عبده الذي تناولها منها في خجل قائلًا:

- بس ده كتير يا ست هانم.

- دي مش ليك أصلًا، دي لمنار حفيدتك، واوعى تصرفها على نفسك، لو عرفت من منار هزعل منك يا عم عبده.

- لا لا يا ست هانم، أوامرك.

- ادعي لي بقى يا عم عبده ربنا يوفقني وحياتى عندك.

- ربنا ينجح مقاصدك يا ست هانم، ويقرب لك البعيد.

هذا بالفعل ما كانت تريده ذلك اليوم، أن يقترب منها البعيد لا أكثر من ذلك.

تحركت بالسيارة بالفعل وبدأت موجة من التساؤلات داخلها، ولم تعرف لمَ تقوم بهذا الأمر؟ هل أصبحت يائسة تترك لأنصاف الفرص أن تبلغ منها منابًا قويًّا أم ماذا؟ بدأ الهاتف بدوره في الرن ولكنها لم تكن تنتظره من الأساس، كانت تحفظ التاريخ في قلبها دومًا، منتظرة أن ينصفها القدر ويمنحها فرصة مرة أخرى

*****

«مرت بي تلك الروح يومًا ما لكنها صادقة.. هي تكفي
أن أحيي ذكراها عمرًا كاملًا «

«يوليو ٢٠١٠»

لم تكن أشعة الشمس وحدها هي الساخنة في هذا اليوم المشمس على سماء قاهرة المعز، وإنما أيضًا في إحدى الشقق الفارهة بأحد الأحياء الراقية في قلب القاهرة دار الحوار الآتي الساخن بين بطلنا الشاب وربة عمله القاسية نوعًا ما وهي ترد عليه قائلة:

- براافو عليك، أنا مبسوطة بيك جدًّا وأنت بتتعلم بسرعة كده.

- أيوه يا فندم بس هما كلهم بيقبضوا أكتر مني بكتير، وأنا زي ما أنا بأخد نفس ٣٥ جنيه بقالي كتير.

- وأنت ما عندكش غير الموضوع تتكلم فيه كل مرة بقى؟

مقاطعًا إياها...

- حقي أزيد ولو جزء بسيط .. أنا اتعلمت كل حاجة في الديكور والتشطيب وبسرعة كمان.

بدأت تزيد الحدة وهي تعلو بطبقة صوتها:

- مش عاوزة أي كلام في الموضوع ده تاني، ماشي؟ أنت فاهمني؟ أنا زهقت يا أخى مش كده.. هتلاقي مين يديك المبلغ ده في الـ ٧ ساعات اللي بتشتغلهم دوول؟

بدأ الحزن ينتابه في فواصل صوته.

- أنتِ عارفة ظروفي، كليتي وإني أكتر واحد بيتعب على قد ما أقدر، وبقيت بعمل كل حاجة أي حد غيري بيعملها.

همهمت بكلمات غير مفهومة وهي تصرخ فيه:

- خلاص، سلام دلوقتِ ونتكلم بعدين في الموضوع ده.

- ماشي سلام.

قالها في استسلام نوعًا ما لحاله وللظروف المحيطة به، كانت الساعة قد تخطت العاشرة صباحًا، وبدأ في رحلته للعودة إلى منزله، وبدأت أيضًا أحزانه رحلتها لمرافقته الطريق، الكثير من الذكريات العشوائية تضربه ضربًا، متراقصة على أنغام أحزانه، هكذا يرى الأمر كل مرة يشعر فيها بالسوء، إلا أن تلك السيدة أوقفته، كانت زوجة صاحب الشقة الذي تم تسليمها مؤخرًا قائلة:

- معلش سامح ودانى هى سمعت الكلام بينك وبين أستاذة هيام متزعلش بس

بدأ الاحراج يتملكه وامتنع عن الحديث نوعا ما

- بص أنا مصدقة أنك مش بس شاطر لا وموهوب جدًّا كمان خد ده الكارت بتاعى خليه معاك عشان تتصل بيا وبوكيه الورد ده هدية منى ليك ....

رد في سعادة عارمة

- يست هانم ... بس

قاطعته وهى تغلق يده على البوكيه في حنان بالغ

- ولا تقول حاجة أنت في سن أبنى وفرحانة بيك متزعلش

لم تتمالك ملامحه وجهه الشاردة طوال الوقت نفسها دقت طبول الفرح وتغيرت تماما للسعادة البالغة وهتف بقوة

- ربنا يكرمك يست هانم

- سلام دلوقتِ بس هأستنى تتصل بيا ماشى أوعى مأتتصلش

أشار لها بالتحية العسكرية كمن يستمع الأوامر منتظرا تنفيذها في همة لم

يفكر كثيرا فيما قد يفعله بوكيه من الورد لظروفه الصعبة أنما سمح لقلبه أن يفرح به ونزل ليجد وسيلة ركوب لأقرب محطة مترو ممكنة النور يحيط به وهو ممسكا ببوكيه الورد في سعادة شديدة للغاية وهو يفكر فقط فيما يكلم سيدة مثل تلك الهانم التى عطفت عليه بقلبها الكبير وأدخلت تلك السعادة العارمة على قلبه كان اليوم لا يكف عن كونه جميلا وأذا ب أبنة صاحب العمل تعرض عليه الركوب معها بسيارتها الخاصة لتصل به للمترو

- ها مش مروح يلا أركب عشان متأخرنيش أنا متأخرة لوحدى يلا

- بس بس حضرتك مأيصحش يعنى

ردت عليه في سخرية

- يعم نفسى تبطل بسبسة بس أحنا قطط ولا ايه ...

أشارت له بالركوب وركب في زهو

- و ايه كمان يا عم بوكيه الورد الجامد ده .. ماشية معاك يعم

و هى تغمز له أجاب مسرعا

- لا والله يا ست هانم دي الست هانم الكبيرة والدتك

- لا والله علقت مامتى يا قليل الأدب

في نبرة جدية تملكه الخوف وبدأت الألوان تختال وجه

ضحكت منه قائلة

- يعمر بأهزر مالك مأبتهزرش ولا ايه

أجابها بطريقة الفنان العظيم محمد هنيدى

- لا بأهزر بأهزر

و ضحك فرحا كانت قد وصلت به بعدما تبادلا الحديث لفترة ليست

بقليلة ودعته في لباقة ثم دخل لمحطة المترو للعودة لمنزله وهو يفكر لأول مرة انه لا دخل للمال في أن يكون المرء لطيفا من عدمه كان يصدق ان الفقر هو ما يجعل اللطف موجودا لكن كونهما أغنياء للغاية لم يمنع لطفهما تحرك المترو وظل واقفا تجاه الباب المقابل لجهة الركوب متأملا الورد اللذى بيده لا أكثر

*****

- يا روح مامى يلا أصحى هتتأخرى

قالتها وهى تطرق باب الغرفة لتدخل لها وفتحت الباب لتجد بنتها

تنهى تغليف آخر لوحة لديها وهى ترد

- أصحى ايه بس يا ماما هههه أنا صحيت صليت الفجر وفطرت وشربت الشاى بلبن بتاعى كمان

قاطعتها والدتها في فخر

- و لبستى واتميكجتى وبقيتى زى القمر ولفيتى اللوح بتاعتك وهأتبقى أشطر واحدة النهاردة كمان

- طبعا يا ماما عشان أنا بنتك بس

- هههههه آه يا بكاشة أنتِ والله عارفة خدى بابا سابلك ال٢٠٠ جنيه دوول تعزمى بيهم صحابك كمان عشان تنبسطى النهاردة يومك أنتِ وبس

حضنتها بقوة شديدة وهى تضيف

- ربنا يخليكى ليا يا ست الكل أنتِ مأتحرمش منك أبدا

أنهت بعدها تغليف أخر لوحة لديها وبدأت بمعاونة حارس العقار في نقل اللوح الخاصة بها إلى أسفل اللذى أوقف لها سيارة أجرة و عاونها في وضع مجموعة اللوح الخاصة بها داخل السيارة وانطلق السائق في هدوء

هل يكون اليوم جميلا ؟ لم يكن ذلك ما يشغلها ... ولكن ما دار ببالها هل هناك وجود لما يسمى باليوم الجميل سبق وقد أختبرت المشاعر الجميلة ولكنها لا تدوم سوى لحظات لا أكثر هل للحزن أن يحتل عمرا والسعادة تسرق لحظاتها منه

- البوابة كام يا آنسة ؟؟

قاطع أفكارها صوت السائق

- هاه !!

- بسألك أنهى بوابة ؟؟

- آه بوابه ٢

- ماشى حاضردقيقة بس

بدأت هى في الاستعداد للنزول والتأكد من إظهارالشارة الخاصة

بالمعرض لحارس الأمن عند البوابة وأوصلها السائق لداخل

المعرض حيث ينتظرها أثنان من العاملين بالمؤسسة لاستقبالها و

توجيهها لمكان المميزين بداخل الصالة حيث تم ترشيحها للجلوس

هناك تقديرا للموهبة المتأصلة بها وبدأ أستاذ رجب في الكلام مرحبا بها

- اهلا ازى حضرتك .. معاكِ أستاذ رجب منورانا يافندم

- أه ميرسى لحضرتك جدًّا بس أنا ايه جابنى زاوية المميزين هنا يعنى ؟؟

- يا فندم الدكتور سعاد بنفسها هى اللى رشحتك مخصوص وهأتيجى لحضرتك هنا كمان بعد الضهر

امتلكتها مشاعر الفخر والفرح بكل كيانها وأجابت في سعادة

بالغة وحماس طفولى

- و الله ده كتير ربنا يستر بس .... هههه ميرسى ليك اووى

بدأت فعاليات المعرض لم يتوافد الكثير من الزوار بعد ومرت

ساعة تلو الأخرى كان المعرض ازدحم بالفعل حتى أنها باعت لوحتان من أعمالها وعيناها ظلت متعلقة بذلك الباب تنتظر توافد أصدقائها ولم يظهر أحد ما حتى طارق صديقها المقرب ذلك الوقت و اللذى طلب خطبتها لم يأت تملكت منها مشاعر الخذلان وقسوة الوحدة ولم تتوقف عيناها عن التطلع لذلك الباب أمسكت بهاتفها الجوال .. وهل تتصل الآن أم ماذا الكرامة تمنعها والرغبة في وجودهم تتصاعد من الجانب الآخر الكرامة تحارب لتنتصر لها و الشعور القوى بالاحتياج لهم يضرب من جديد ولكن إذا ب عيناها تحسم الجدال انهارت أمام من هم حولها الكل محاط بأناس يحبونه و يدعمونه حقا ويلتقطون الصور التذكارية والتوقيعات وهى تقف بمفردها وبدأت في البكاء مهلا سيلاحظون بالتأكيد ...شفقة ؟؟

.... لا لا ... لا نحتاجها الآن ... ما العمل ... توقفى يا عينى أرجوكى ... لا فائدة من المقاومة ... لنهرب هيا خرجت تركض مسرعة واجتازت البوابة الخارجية أين تذهب لا تدرى ؟ أوقفت

أحدهم لتسأله

- لو سمحت بس ..؟

- اه يا انسة اؤمرى

اول ما جال بخاطرها هو الهرب للمنزل

- عاوزة ممر اه ممر عاوزة اروح انا ساكن في مصر الجديدة ومش عارفة «تداركت أنها نسيت حقيبتها بالداخل فأكملت» ولا معايا فلوس الشنطة وقعت

- ههه ولا يهمك يست الكل المترو مشى من هنا خمس دقايق بس الشارع اللى في وشك

و دس يده في جيبه معطيا اياها خمسة جنيهات

- لا والله ما هأينفع بس

ترك الخمس جنيهات بيدها وأكمل طريقه مسرعا قائلا

- اهو نفع اهو

لم يكن أمامها حل آخر دخلت إلى محطة المترو وقطعت تذكرتها

توجهت لأحدهم لسؤاله عن الاتجاهات في توتر قوى وكان من المصادفة أنه سيصحبها معه فهى نفس محطته كما أخبرها و استقلت المترو معه وقف هو على الجانب الآخر ينظر مطولا لخارج المترو وهو ينظر للخارج ممسكا بالورد بيده

******

« صدفة بتجمعنا وساعات بتودعنا
على قد ما تفرحنا على قد ما توجعنا»

لـ أنغام

كنت قد وصلت لمحطة المترو بالفعل ولم أكن ممن يستقلون المترو كثيرا كنت تلك التائهة التى لا تدرى شيئاً سألت أي المحطات تناسب الوصول للحى الذى أسكن به وأى اتجاه أسلكه عرفت فيما بعد أنها سراى القبة ركبت المترو بصحبة ذلك الغريب اللذى أخبرنى على الطريق مر الوقت علي كأنه سنة شعرت بالقلق فقمت بسؤال أحد الراكبين الآخرين عن وجهتى فامتنع عن الجواب بحجة عدم معرفته للطريق وسألت أحد آخر الذى أخبرنى مثلما أخبرنى الغريب الذى ركبت معه أول مرة راح هو الأخير ينظر لى في نظرات قاسية للغاية ونوعا هو على حق في ذلك لا الومه لقد كذّبته وشعرت بانعدام الثقة حاولت الاعتذار منه لكن نظراته كانت تقتلنى من الداخل فراحت عيناى تبكى مرة أخرى نزلت وبدأت السير لبوابات الخروج قبل أن يوقفنى صوت ذلك الغريب ينادى من خلفى كان الصوت قريبا جدًّا حيث بدا لى أنه يصدر من داخلى

في بادئ الأمر ولكنه صوت ذكورى من خلفى وسرت لخطوة متجاهلة إياه لربما على الأرجح أنه يتسول شيئا ما ولا أملك أى شيء لأعطيه إياه حتى أو أنه أحد المتحرشين حتى أخذت القرار بالسير دون الالتفات له حتى

- بست بست يا آنسة بست لو سمحت في حاجة وقعت منك

راعتنى تلك المرة بحة صوته في منتصف حديثه تخرج الكلمات منه متقطعة لمست توتره البالغ ولا أدرى ما اللذى قد وقع منى حيث أنى لا أحمل شيئا من الأساس لكن ذلك لم يمنع ذلك حركة دورانى السريعة لمصدر الصوت كرد فعل طبيعى لكلامه كان هو الغريب أنه أجمل ما يمكن أن ترأه عيناى في حياتى كلها حتى وجدت يداه ممدودة ببوكيه الورد تجاهى في مشهد رهيب وأعواد الورد تخفى أكثر مما تظهر منه وبرزت عيناه تشع ذلك الحنان لأنظر مباشرة لها وأطلت النظر دون مرعاة منى لخجله وتوتره الشديد لجم المنظر لسانى أن يبادر النطق أخذت خطوة واحدة تجاهه

و ركزت النظر تجاه عيناه فقط مستمعة لكل أنغام السحر التى تطل بها علي في جمال لم أرى مثله أبدا أنا أعترف أنا الآن ألمس من الاحساس لم ألمسه قبلا ... هل مرت ثوانٍ فقط ؟؟ أم عدة دقائق تجمد أحساسى بمرور الوقت أمام بهاء عيناه رائحة الورد أخذتنى من نفسى رائحة جميلة قوية مسيطرة على الأجواء في تلك الرقعة من الرصيف ولكن مهلا لما لا يتحدث لى هل هو أخرس ؟؟؟ لا لقد سمعت صوته أنا واثقة كان منذ دقيقة تقريبا ماذا أفعل ؟؟ فتح فاه و بدأ يتكلم

- الدموع دي وقعت منك غلط وقولت بوكيه الورد ده ممكن يطيب بخاطرك مثلا ؟؟ ... أنا شوفت عينيكى مدمعة أووووى حتى الكحل مساحش منها شكله كحل نضيف

لم أعرف أى الكلمات المناسبة له لكن التوتر تملك منه وأكمل حديثه مرة أخرى

- أنا عمرى ما جبت ورد لأى حد قبل كده ..ولا حد جابلى ورد بيقولوا البنات ب يحبوا الورد وأنتى بنات صح ؟

كتمت ضحكتى داخلى لكن عينيى استمرت بالضحك هل هو بارع بقراءة العيون أيعقل ؟؟ تبادر لذهنى السؤال التالى لما لا أخشاه حقا ؟ هو غريب وأقرب وصف لما يفعله هو أنه يتحرش بى لما لا أخشاه ....

- طب حضرتك ممكن تأخدى الورد عشان أمشى طيب .. الورد حلو وبيطيب بخاطرك وماتعيطيش تانى عشان معيش فلوس أجيبلك ورد كل شوية

لم أستطع كتم ضحكتى بداخلى وضحكت ضحكة أخذ بها نظرة الرضا من عيناى عما فعله أخذت الورد من يده دون أن أمس أصابعه وأجبته

- طيب خدت الورد أهؤ ... شكرا يا سيدى

- يلا أنتِ كويسة ؟؟ هأسيبك أنا بقى ..

نعم يرحل ؟؟ وأخذ خطوة للوراء لا ليس تلك المرة

- استنى هنا بس

- نعم حضرتك ..

- أفرض الورد متسمر وهأتمشى ورايا تخطفنى بعدها خده بقى أنت حرامى وهاتخطفنى هاصوت وألم الناس عليك والله

كان كمن رأى الموت بعينيه تغيرت ملامحه بالكامل وبدأ يشعر

بالقلق الشديد وما اللذى فعلته .. بدأت أحاول أن اصلح مما قولته

بابتسامة عذبة

- لا بس أنت شكلك أبن ناس يعنى مأتعملش كده خاالص

- خلاص أيه رأيك أفضل معاكِ لحد ما تتطمنى أن الورد مافيهوش حاجة ؟

أنه يعرض البقاء معى .. هل شفقة على حالى لأنى كنت أبكى لما

أسمح له بالبقاء ؟ هل أريد الورد من الأساس رائحته قوية جدًّا حسنا

لا أستطيع التفكير سأجعله يشم من الورد معى هذا كافى لأضمن

أن الورد ليس به شيئا ضارا فقولت له

- أه يسلام طب خد شم

-اه بس كده يسلام .... اووى اووى

بدأ يشم الورد بكثرة خطفت منه الورد قائلة

- أيه أنت جايبلى الورد وهأتخلصه على نفسك هات بقى

أراح بوكيه الورد من يده وتلامست أصابعه مع أصابعى نظرت لها في دهشة أنا أعرف أصحاب تلك الأيادى جيدا أنا واحدة منهم طلبت منه رفع يده عاليا نعمر الألوان تلطخها في عشوائية تمس قلبى سألته قائلة

- أنت فنان ؟؟

- لا لا نقاش ... مساعد نقاش يعنى

أنتابتنى خيبة الأمل ولكنه تدارك ذلك مضيفا

- بس بأعرف أرسم حلو كمان

حسنا ما أحتمال وقوع تلك الصدفة حتى أنه يحمل الورد وهو فنان مثلى ولا أعلم ماذا على أن أفعل بذلك الغريب الأمر مريك و مخيف لكن لن أخاف تلك المرة يبدو لى اليوم يحمل مغامرة مميزة للغاية فأجبته

- و أنا كمان فنانة ...

صدرت منى في حماسة طفولية للغاية ورفعت يدى عاليا بسرعة

لأظهر أصابعى له

- ههه تعالى خلاص هأوصلك زى ما قولتلك

- العنوان بعيد عن المحطة يعنى ؟؟

هز رأسه نفيا لكنى أشرت بعيناى لنذهب وخرجنا من المحطة سويا

******

« عيناك ليالٍ صيفيه ورؤىً وقصائد ورديه
ورسائل حبٍ هاربةٌ من كتبِ الشوقِ المنسية »

لـ ماجدة الرومى

هل أنا ثابت بقدماى على الأرض ؟؟ وقفت لأنظر نعم أنا على أرضية المترو ممسكا ببوكيه الورد بيدى كانت السعادة تغمرنى بشكل أوحى لى أنى طائر من الفرحة ولست تحت رحمة الجاذبية هذه المرة أنه مجرد ورد لكنه يحمل عاطفة تلك السيدة الحنون وحبها لى وعوضا عن غضبى الدائم من السيدة هيام وجدت نفسى فرحا للغاية بذلك الورد و حملته بمثابة شهادة تقدير لعملى كانت هناك تلك التائهة التى أخبرتها عن الطريق قبل أن نركب وأخبرتها أنى سأنزل معها وجدتها تسأل آخرين غيرى نظرت لها في قسوة بالغة غير مبررة حتى في غفلة منى فتح باب المحطة اللذى أستند عليه عند محطة سراى القبة ورفعت رأسى واذا بعيناى لمحتها تنزل بعين باكية من أمامى أولا ثم تبعها قلبى يلاحظها ومن ثم سارت بى قدماى تجاهها مسرعة قبل أن تقفل أبواب المترو عليها أنا أقسم أنى فقدت السيطرة علي فيما يحدث كل لم أعرف بالظبط ما أفعله سوى أنى هذا صعدت السلم خلفها كالمسحور وهبطت و صرت أقترب منها حتى وجدت نفسى خلفها ببضع خطوات قليلة بعد ثم بدأت بمناداتها بقوة وشجاعة لكنها لم تتوقف و لكن بدأت خطواتها في التباطؤ ويبدو أنها

أستمعت لى حقا ثم تابعت حديثى

- بست يا آنسة بست لو سمحت في حاجة وقعت منك بس

التفتت لى في سرعة كنت ممسكا الورد ورفعته في سرعة تجاهها كى لا تنظرنى ولكنها أطالت النظر لعيناى تحدق بهم الآن فقط أفقت من تأثير السحر وأدركت ما اللذى أقوم وأى حماقة أرتكب الآن بدأ عقلى الأحمق في العمل مجددا كانت لتصرخ أو تنفعل علي وما شابه لكنها وقفت تنظر لى بشدة لا تحرك عيناها من علي بدا أنها سوف تصرخ بقوة وتبدأ في السباب وسيتحرك الناس من حولى أفضل الخيارات المتاحة الآن أن أحظى بقميصى دون قطع بعدما يتلقانى الناس بالضرب ولكن قلبى طلب منى الهدوء قليلا والنظر مجددا لعيناها يبدو أنه أعجبها ما قام به لقد أخذت خطوة تجاهى أنتصر قلبى تلك الجولة على عقلى الخائف بشدة وبدأت تمالك نفسى والتفكير أى العبارات هى المناسبة لأنطق بها حتى خرجت منى الكلمات بعفوية

- الدموع دي وقعت منك غلط وقولت بوكيه الورد ده ممكن يطيب بخاطرك مثلا ؟؟ أنا شوفت عينيكى مدمعة أووى حتى

الكحل مساحش منها شكله كحل نضيف

حسنا أنها لن تصرخ وتتقبل الأمر هذا جيد ثم أكملت حديثى

- أنا عمرى ما جبت ورد لأى حد قبل كده ... حد جابلى ورد بيقولوا البنات ب يحبوا الورد وأنتى بنات صح ؟؟

استمر صمتها وهى لا تمد يدها تجاه الورد قلت أخر كلماتى في يأس منى

- طب حضرتك ممكن تأخدى الورد عشان أمشى طيب .. الورد حلو وبيطيب بخاطرك وماتعيطيش تانى عشان معيش فلوس أجيبلك ورد كل شوية

ضحكت لى وعيناها لم تعد تلك المنطفئة مرة أخرى بعد الأن عاد لها بريقها وهى تمد يدها تخطف من يدى الورد تجاهها قائلة

- طيب خدت الورد أهؤ ... شكرا يا سيدى

- يلا أنتِ كويسة ؟؟ هأسيبك أنا بقى

أخذت خطوة للوراء واستعدت للرحيل وأنا بداخلى كل الرغبات للبقاء وعدم الرحيل الآن

- استنى هنا بس

- نعم حضرتك ..

- أفرض الورد متسمم وهأتمشى ورايا تخطفنى بعدها خده بقى أنت حرامى وهاتخطفنى هاصوت وألم الناس عليك والله

حسنا ما أخشاه قد حل بدت على الخوف أكثر وأكثر أخذت الاستعداد للركض مبتعدا

- لا بس أنت شكلك أبن ناس يعنى مأتعملش كده خاالص

لقد كانت تمزح أنا أحمق لا أعرف الناس حين تمزح يمكن لطفل دون الرابعة خداعى حتى دون أن يحاول أردكت اللعبة تلك المرة وأجبتها

- خلاص أيه رأيك أفضل معاكِ لحد ما تتطمنى أن الورد مافيهوش حاجة ؟

و هى أدركت أنى أدركت اللعبة هى تريدنى أن أبقى أيضًا وأجابت قائلة

- أه يسلام طب خد شم

- اه بس كده يسلام .... اووى اووى

بدأت أشم الورد بكثرة خطفت منى الورد قائلة

- أييه أنت جايبلى الورد وهأتخلصه على نفسك هات بقى

تلامست يدى معها واذا بها تنظر ليدى فخجلت لشكل يدى الملطخ بالألوان من طبيعة عملى طلبت منى رفع منى يدى عاليا

- أنت فنان ؟

- لا لا نقاش ... مساعد نقاش يعنى بس بأعرف أرسم حلو

كانت كمن عثر على مراده وهى تصرخ بطفولة حماسية

- و أنا كمان فناانة ... رافعة يدها لأعلى

كانت يداها ملطخة بالالوان مثل يدى ابتسمت في رقة وأنا لم أشح وجهى عنها ثم سرنا معا خارج المحطة

*****

« ضحكت ... يعنى قلبها مال
وخلاص الفرق ما بيننا أتشال»

لـ عمرو دياب

أنتِ بتعملى إيه بس ؟؟ هكذا سألت نفسى بعدما وافقت أن يصحبنى للخارج وأنا أسير معه في صمت رهيب أنا أشم الورد معجبة به جدًّا وهو لا يرفع عيناه من على أبدا يطيل النظر لي وبنظراته يسرد الكثير من الكلمات التى تطرق قلبى برقة بالغة لم أشهد لنظراته مثيل ابدا أقر بذلك

- هيه تعرفى الورد ده ليه قصة كده

قطع الصمت بجملته لربما يحاول أخبارى أنه مرتبط وهذا الورد ليس لى أنه يفكر باسترجاعه قمت بتحريك الورد للجهة الأخرى منه وأنا أشد قبضتى علي وأساله

- قصة ايه يعنى ؟؟

- متخافيش مش هأخده أنا بس بأحب أحكى وكده

- و أنا بأحب الحكاوي كلها

بدأ يقص علي ما حدث هذا الصباح الباكر ولكنى قاطعته قائلة

- تؤ من الأول من الأول خالص خاالص

توقف عن السير للحظات والفضول بداخلى لم يتوقف بل أسرع

من خطواته بقوة أكثر من المعتاد هناك رغبة بداخلى لا أسيطر عليها ترغب في معرفة أسرار ذلك الغريب عنى و نظرتُ له قبل أن أكمل حديثى

- من الأول خاالص أنت ايه اللى وداك الشغلانة دي أصلا يعنى وبتشتغلها ليه ؟؟ ومين مدام هيام دي؟؟

لا أنسى ابتسامته وهو يقول

- ده رغى كتير واحنا هانوصل قبل ما اخلص رغى

نظرت حولى لم أعرف أين نحن حتى لكن على كلامه أنه يخبى العديد من الحكايات بداخله أو أنى أسكن بالقرب من هنا خطفتنى روح المغامرة لأشير له عكس اتجاه سيرنا قائلة

- خلاص بينا نمشى من هنا بس أحكيلى كل حاجة من الأول خالص بس بشرط ولا تعرف اسمى مااشى ؟؟

هذا ما تبادر لذهنى كسلاح أمان ضد هذا الغريب الفضول يقتلنى من جهة والقلق بدأ يضربنى من جهة أخرى بدت السخرية على ملامحه وهو يجيب

- أمرك حاضر ... أنا طالب بكلية التجارة أخر سنة ليا السنادى من صغرى كنت بأحب الرسم اووى أووى بأرسم على أى حاجة بأشوفها قدامى

- ههه بس مش باين عليك خالص يعنى

نظر لى مستنكرا ما أقوله وهو حقا لم يبدو لى كفنان أو أحد يعرف كيف يمسك ريشته ولكن لما لا الألوان المبعثرة على يديه وبعشوائية غريبة تؤكد قصته على الأقل لا يكذب علي أو حتى يكذب لا يهم لكنه أكمل كلامه

- كنت بأشتغل بعد المدرسة علطول وأهل الحتة كانوا بيحبونا جدًّا كانوا بيشغلونى معاهم علطول وبس لقيت نفسى في النقاشة لحد ما اتوظفت في مكتب ديكورات وكده

- أنت بجد ؟؟

- اه عادى في ايه

رفعتُ عيناى لأنظره لكن هيئته لا تقول ذلك

- أصل والله مش باين عليك كده خالص

- معرفش ليه كلهم بيقولوا عليا كده ..

- تلاقى محدش ب يحبلك الخير

أجابنى بصوت حزين قائلا

- عندك حق فعلا ...

قالها ثم سار مبتعدا لعدة خطوات عنى تسارعت خطواته وحاولت مجاراته

قليلا ثم عاد إلى يكمل كلامه

- أمى ..أمى بتحبلى كل الخير ونفسها أبقى أحلى واحد في الدنيا علطول وده اللى مصبرنى

- هه طب براحة وبعدين مش ماما بس ما جايز لو أدتنى فرصة هأحب لك الخير

- يسلاااام وده عشان ايه مثلا

لما سأحب له الخير أنا أعرف كل المبادئ الدينية والإنسانية وأنه من الجميل أن نحب الخير لغيرنا ولكن لما هو تحديدا فأجبته بزهو كبير دون سبب

- عشان أنت تستاهل يتحب لك الخير بجد

توقف عن السير وجاء أمامى مباشرة وهو يسير للخلف قائلا وهو يرفع يديه

- بس كده يعنى !!؟

أنه يقتحم من مساحتى الشخصية ما يربكنى دون أن يخيفينى فشددت الورد لى حين توقف أمامى فانسابت لى رائحة الورد بقوة فأجبته بقليل من الخجل

- و عشان بوكيه الورد ده فرحنى اووى بردو

- طب حلو مع أنه مكنش ليكى بس نصيبك

- أيه عاوز تأخده تانى ولا ايه ؟؟

- لا والله ده أنا كنت عمال أفكر هأقول لأمى ايه على البوكيه ده معرفش كانت هأتصدقنى ولا لا ...

- يعنى هو أنا مش داخل دماغى أووى اللى حصل برضو

أظهر لى الكارت الخاص بالسيدة التى أعطته الورد وهو يطلب

منى أن أقوم بالاتصال لاتأكد من الأمر لكننى تمنعت على الفور بحجة أنى كنت أمزح لا أكثر

- خلاص كنت بأهزر بس هى ست عندهاذوق جدًّا الورد تحفة ريحته تجنن ...ها هأتعمل ايه هأتكلمها ؟؟

- و أسيب المكان اللى أنا فيه ؟؟ لحاجة معرفهاش

- مش جايز تروح حاجة أحلى من المكتب بتاعك ده

- و جايز أروح حاجة أوحش برضو

كنت أهز رأسى نفيا وأنا أخبره

- مأظنش أن في أوحش من أن تعبك يرووح هدر

- ممم مش عارف أنتِ بتوزينى أسيب شغلك

أستغربتُ للغاية مما قاله وأنا أرد عليه

- أو بحاول أفكر معاك تروح حاجة أحسن وأحسن ...

راقته الأجابة هذا ما تيقنت منه وأكملنا سيرا على الأقدام نحدث بعضنا البعض قبل أن يتوقف فجأة عن السير وهو

يشير لى بالتوقف قليلا قائلا

- أحنا فين ؟؟ احنا توهنا ولا ايه يا بنتى

- طب تعالى نسأل أحنا حودنا فين ولا روحنا فين ؟؟

لقد ضربت العقدة التاريخية للرجال لا أعلم لما يكرهوا أن يسألوا عن الطريق وأى طريق نسأل عنه نحن نسير بعشوائية تامة ولا وجهة لنا لكنه أجاب في هدوء

- و الله فكرة حلوة جدًّا ... هههه بس مفيش حد نسأله تقريبا الشارع هادى اووى أنا شايف اننا نأخد بعضنا ونرجع بالظبط زى ما جينا ونسأل هناك

لن أنكر كان ذلك مختلفا كثيرا عما جاء في خيالى وأنا أعتذر له عما قولته من قليل

- أسفة مكنش قصدى أكيد في ناس كتير بتحب لك الخير

- لا لا خاالص بالعكس ... دايما بأحس أن محدش ب يحبلى

الخير مع أنى طيب

- هههه كل الناس بتقول على نفسها طيب و

قاطعنى قائلا

- متقارنيش بحد أبدا أنتِ بتحكمى عليا من غير ما تعرفينى ولا تعرفى عنى حاجة

- عرفنى .... أنا الفضول شاددنى أعرف عنك الكتير وعن

بوكيه الورد بتاعك ده

- طب والوقت

- شششش أنسى الوقت مأتفكرش كتير أحكيلى

شاح بنظره للأمام وتابع حديثه وأنا أصغى له لما يقوله ونحن نسير رجوعا حيث سرنا بالظبط لم أعرف بالظبط أى الشوارع تلك أنا لا أعرف تلك المنطقة جيدا وأنا أساله

- بس أنا مأعرفتش بوكيه الورد ده ؟؟ جه منين ؟؟

- هأكملك بعد ما اشتغلت في مكتب الديكورات ده كل ما أسال على زيادة في مرتبى الست ترفض رغم شطارتى وكل اللى بأعمله

- استنى كده بقى ست مين يا أستاذ ..انت

- الأستاذة هيام مديرتى في الشغل بس بينى وبينك كدهه هى مش ست أووى يعنى ...

- اي اللى مش ست أووى دي يعنى ؟

- ههه أقصد طريقة تعاملها معانا والعمال بتخاف منها جدًّا ومحدش بيقربلها في حاجة هى تعاملها صعب جدًّا كده وعمال أتحايل تزودنى مفيش فايدة

- مأعرفش مش جايز أنتوا ظالمينها مثلا عمرك فكرت في كده قبل كده ..؟؟

- بمعنى ؟؟ مش فاهم

- أقصد أقولك تبقى هى خايفة منكوا وخايفة تتعامل معاكوا عادى كده

ضحك بشدة وهو يضرب كفا على كف

- دي بتخاف دي ؟؟ دي تخوف الجن الأزرق

تجاهلت ما يقوم به وأجبته في ثقة كبيرة

- مفيش ست مش بتخاف كل حواء خوافة

وجدته أنفجربى بغضب مصطنع أو حقيقى

- أنتِ ازاى مش خايفة منى ؟؟

عيناى تحاول كبح دموعى وأنا أهمس في تقطع وخوف

- مين قالك أنى مش خايفة منك يعنى ...لا خايفة منك شوية أنت غريب عنى و..

قاطع كلامى بصوت غاضب نوعا ما

- اومال ماشية معايا كل ده ازاى ؟؟

بدأت أخد نفسا عميقا وأطلقه في هدوء وأنا أضيف

- استنى يا عم هأحكيلك أنت هتأكلنى براحة ممكن!! ... بص انا خايفة مش لأنك هتأذينى في حاجة ولا هاتعملى حاجة انا خايفة منك لأنى مش عارفاك أنا نفسى أعرفك وساعتها مش هخاف منك صدقنى ... مأقصدش تقولى اسمك مش عاوزة أعرفه أنا عاوزة أعرفك أنت وبس

- أه وهأعمل ده ازاى ؟ وأنا يدوبك لسه معرفش أسمك أنتِ كمان

هدأت لما كان به من غضب وأجيبه بثقة قائلة

- المعرفة عمرها ما هأتيجى في يوم وشهر وسنة أنا بأحب الوقت والتفاصيل جدًّا بس فكرة أنك مش عاوزانى اخاف وتتطمنى دي مطمنانى جدًّا معرفش ليه

- ههه ما أنا كمان خايف منك خايف تبقى بس حلم بأحلمه ومش هأيتحقق أبدا طول حياتى تبقى شبح الذكريات اللى هأيفضل يجرى ورايا طول الوقت

قومت بركله بقوة عقابا لما قام به منذ قليل فقد شعرت بالغيظ

منه مما دفعه للصراخ

- اااه رجلى

- هههه اهو عشان تتطمن أنك مش بتحلم بس ...

ركضتُ منه ظنا أنه سوف يقوم بملاحقتى وأنا منتظرة منه أن يتبعنى في الركض في طفولية لكنه عوضا ذلك وعلى العكس ثبت في مكانه مثبتا عيناه علي ينظر لى وأنا لم أتوقف عن الركض ورجعت له مرة أخرى ضاحكة للغاية وقفنا لدقيقة أو أقل أخذ نفسى وهو يخبرنى

- كنت خايف تبقى حلم بيجرى منى ولسه هأجرى وراه

- مفيش أحلام بتتحقق وأحنا واقفين طول ما أنت واقف مكانك مش هأتوصل لحتة

- بس أنا وصلتلك

أبتسمت تلك الأبتسامة التى تعبر عما يخبيه القلب من مشاعر داخلى وملأ الدفء صوتى وأخبره

- و أنا مش حلم .. مش حلم خاالص على فكرة أنا الحقيقة الوحيدة في حياتك

كانت عيناه تلمع بضئ رهيب وهو يقول لى

- هأتبقى أول حقيقة شافتها عينى في حياتى اللى كانت مليانة أحلام من صغرى

- كنت بتحلم بايه ؟؟

- كنت بأحلم يكون عندى عجلة أجرى بيها يوم العيد وكل عيد أشترى قميص جديد ليا كنت بأحلم أخش كلية كويسة بأحلم أسافر بره كنت بأحلم أتحب

تعجبت من أحلامه الرقيقة التقليدية ولكن لكى أخرجه من تلك الأحلام اليابسة سألته

- هههه هى قلبت دراما ليه ؟؟ بس المهم روحنا فين ؟؟

ضحك وهو ينظر بامعان وتداركتُ ما قد حدث وأخبرنى

- أحنا عدينا الناصية مطرح ما جينا أصلا هأنرجع تانى عشان نسأل هناك

لكننى أحبت فكرة أن نمضى وقتا أخرا سويا لم أرد الرجوع للبيت خائبة الأمل بذلك اليوم المهم فأشرت له بالاستمرار

- كفاية رجوع هأنكمل في طريقنا يلا بينا

- يلا بينا ...

دون شعور تلامست يدانا معا ولم أسحب يدى بعيدا ولا هو لم ننظر أحدنا للآخر تركنا أصابعنا تداعب بعضها البعض في حنان ونحن نسير سويا ذلك الاحساس عندما تتلامس أصابعنا معا وهو يسير بجانبى أرغب بأن أشعر به مجددا تتلامس أطراف أصابعنا لا أكثر ولكن ذلك أكثر من كافٍ لى لم أسحب يدى بعيدا حتى لم أنظر له وأنما راحت كلماتنا تتوه في مننا في وسط الطريق لم أعرف كيف الأمر بالنسبة له تركت الأمر يحدث عشوائيا كل مرة وكل مرة كان يصاحب تلامسنا بالأيدى دقة لقلبى مختلفة عن غيرها تماما صرت أتعمد الأمر وأنا أتطلع لدقة قلبى القادمة أى دقة ستكون ... صدرت منى تلك الضحكة وينظر بخجل ويسحب يده

ليضعها في جيب بنطاله وأنا نقلت الورد ليدى أيضًا كى لا تصير ممتدة بجانبى صمتنا قليلا ونظرت له وآه من عيناه والله تركت يدى مرة أخرى

ممتدة بجانبى لكن تلك المرة لم يسحب يده ليضعها كما بالسابق وبدأ وجهه بالضيق نوعا ما وهو يتجنب أن يقترب منى فقلت له

- في ايه ؟؟

بغضب منه وغيظ لما فعله

- مفيش بس حسيت أنه لسه مش من حقى ألمس أيدك حتى لمسة الأيد وعد وجايز مأبقاش قادر أوعده

- هههه كبرت الموضوع على فكرة خلاص براحة

لم يترك يده حتى لتلمسنى بل قام بمسك يدى مباشرة وسرنا

هكذا معا وهو يقول لى

- المهم تكونى مرتاحة بس كده

أنا أتخطى الحدود والخطوات وأتخطى كل شيء سمعت صوتا بداخلى يخبرنى أنه على حق كل الحق

- ممكن تسيب أيدى أنا مش مرتاحة ولا حاجة كده

تركها فورا وهو يقول

- كنت عارف أنا حبيت أوريكى أنك مش هترتاحى مأتقلقيش أنا كمان

مستلطفك أووى بس كل حاجة في وقتها أحلى بكتير اووى

محدش بيفطر طبيخ عالصبح

كنت أضحك بشدة

- ههه الله يخربيت تشبيهاتك دي أسكت .. أسكت هو أنت شايفنى حلة طبيخ يعنى

- لا لا شايفك بنت حلوة بس لسه غريبة عنى يعنى

- ممم تعالى مأبقاش غريبة طيب ... ايه رأيك ؟؟

- قربى أنا كتاب مفتوح قدامك مش هأخبى عنك حاجة أبدا اتفضلى ماتبقيش غريبة ولا حاجة

فكرت للحظات ولكن فضولى عن الورد رجع لى فسألته عن الورد ولمن هو

- الورد كنت جايبه لمين بجد ؟؟؟

بدأ يقص علي ما حدث معه بالتفصيل

- يعنى مش بتحب واحدة جايبلها الورد ده بجد ؟؟

هز رأسه نفيا وأشار بيده عن اتجاه السير قائلا

- هأنحود من هنا لجسر السويس وهأحكيلك عن اللى بحبها وكل اللى عاوزة تعرفيه حاضر

سرت خلفه ودخلنا لذلك الشارع الواسع لكنى أمتنعت عنه بحجة أن الضوضاء الناتجة عن سير السيارات بجانبنا كانت لا تطاق وأقترحت عليه السير من الشارع المجاور له فوافقنى على الفور وأكملنا طريقنا معا .. كنت فرحانة بتواجده معى للغاية رغم أنى لا أشاركه أحزانى لا أتكلم كثيرا لكنى فرحة للاستماع له لحديثه التأثير على حزنى وكتمانه أنا لا أرغب أن ينتهى الأمر سريعا أريد لتلك اللحظات أن تستمر وتستمر

*****

« فاكر أول ضحكة وهمسة

و أول نظرة وأول لمسة

و أول دقة قلب ... »

لـ عامر منيب

مررنا بجوار سور حديقة ابن سندر كانت بجانبى على اليمين ورفعت عيناها حيث مطعم رأس البر على الجهة المقابلة من الشارع تعلقت عيناها به فيما أنا أحادثها لم أحتاج أن أكون محققا لأعرف أنها جائعة لم أنتظر لأسالها حتى وذهبت وطلبت لنا الطعام وهى توقفنى لتخبرنى أنها ليست بجائعة ولكننى أخبرتها أنه يجب أن تختار هى لنفسها عوضا أن اختار أنا لها ما تأكله وجلسنا نأكله معا أتذكر كيف كانت فترة الثانوية في تلك المدرسة القريبة من هنا وكيف قضيت فترة مراهقتى تائها في تلك الشوارع أمر بين ثناياها وتصنع لى كل ذكرياتى عن تلك الفترة كنت وحيدا أغلب تلك الفترات لا أتذكر أسم واحدا ممن رافقونى في تلك الأيام تاهت منى الأسماء وبقيت الوجوه تسبح حول ذكرياتى

- يا أنت ... روحت فين ؟؟

قاطعنى صوتها وهى تنكزنى بيدها

- ههه سرحت منك معلش أصل مدرستى في ثانوى هنا وسرحت معاها شوية كانت أيام حلوة ..

لم أكن واثقا أذا كانت أيام سعيدة أم لا ولكنها كانت أقل ثقلا من الآن وأقل عبئا في تحملى للأمور من حولى

- سرحت في مين ؟؟ في اللى كنت بتحبها ؟؟

- هههه مين ريم ؟؟ هه لا ريم اتعرفت عليها في الجامعة أصلا أنا أيام ثانوى مكنتش أعرف بنات أصلا ولا نيلة

- هى اسمها ريم ؟؟

- اه ريم ..

- احكيلى الحدوتة من الأول زى ما وعدتنى يلا

- ريم أتعرفت عليها في سنة أولى جامعة كنا أصحاب جدًّا ساعتها كنا بنحضر المحاضرات سوا وكانت بتحضرلى المحاضرات اللى بتفوتنى وتشرحهالى كنا قريبين من بعض وكانت بتحكيلى عن اخواتها الولاد كلهم واللى بيعملوه فيها وبتحكيلى عن الأفلام اللى بتحبها وو كنا بنقعد نرغى مع بعض كتيرو قربنا جدًّا من بعض ومكنش ليها صحاب غيرى تقريبا ....

- ها وبعدين يعنى ....

و نحن نجلس بجوار سور الحديقة أكملت لها

- أبدا كنا بنحب بعض اووى وكده بس محدش كان يعرف غير علياء صاحبتنا اللى كانت معانا دي وكده كنت دايما حاططها قدام عينى وأفضل اتعب عشانها بس مفيش نصيب

- ايه اللى حصل سيبتها ليه ؟؟

- أنا ؟ ههه دي هى اللى اتجوزت وسابتنى حتى مهانش عليها تعرفنى أى حاجة أفتكر علياء جاتلى في يوم كده وانا بأسلمها الجواب اللى بابعته ليها انه مفيش نصيب وانها مش بتحبنى وياريت أبعد عنها والكلام ده ..

بدأت بالعصبية وهى ترفع من صوتها وتجيب

- ثانية واحدة هى مش علياء دي قلت صاحبتكم ؟؟

- ايوه بس أنا وريم علاقتنا مكنتش رسمية أووى مكنتش بأقابلها كتير واحنا الاتنين كنا كحيانين محدش كان جاب موبايل بصى من الآخر أنا كنت بأحب ريم وعلياء بتحبنى انا كده يعنى جو المسلسلات التركى اللى طالعة دي

- هههه وعملت ايه !؟ في اللخبطة دي

- أبدا كل جواباتها كانت علياء هى اللى بتكتبهالى وبتحبنى في صمت غريب اووى وخايفة لحد ما ريم اتجوزت كنت أنا خسرت علياء

- و لسه بتحبها ؟؟

- مين ريم ؟؟ لا طبعا

- أقصد علياء ريم مين بس بلا ريم بلا خرا أنا على علياء اللى بتقول كانت

هى اللى بتحبك وكده ... أنت حبيتها ؟؟ ولا محبتهاش

أخذت نفس عميق للغاية وأنا أتذكر ما قد حدث وبدأت نبرة الندم والحسرة تسود علي وأنا أجيبها

- علياء !! ... هه علياء دي اكتر حاجة حلوة حصلتلى في حياتى كلها بس محاولتش أحبها مجتش فرصة أصدق كل الحب اللى حبتهولى رغم أنى مأستحقش أنا باقولك أنا مأستحقش حد يحبنى كده بس جرحتها ودبحتها هى سقطت السنة اللى فاتت بسببى أصلا وعادت السنة وبتشوفنى في الكلية بتجرى منى مش بترد على مكالماتى لو سمعت صوتى بتقفل السكة ولا عارف أوصلها وخلاص كده

- هأتتخلى عنها بعد كل ده ؟؟ دي بتحبك يبنى في حد يسيب حد بيحبه كده

أجبت ببكاء لما أمر به الآن

- ممم علياء كرهتنى لو مش فاهمة بأقول ايه يعنى

كانت دموعى تسابق كلماتى في السرعة حتى لمستنى تلك الكهرباء كانت يدها تترك الورد أرضا وهى تمسح عيونى بيدها وترجع لتنشف يدها بملابسها وهى ترتجف بشدة وأضافت قائلة

- أنا اسفة والله ... والله خلاص بقى أنا اسفة

ضحكت مما تفعله وهى تهلع قائلة

- معيش مناديل ... المناديل في الشنطة ومعيش الشنطة مش معايا المناديل في الشنطة اللى مش معايا سيبتها هناك في المعرض خلاص معلش أنا اسفة والله اسفة

- معرض ؟؟

بدت متلعثمة في كلامها وهى ترد

- آه أصل أنا مأحكيتلكش ولا ايه ... هأحكيلك حاضر

نظرت لها في استنكار لما تقوله وأنا أشير لها بالنهوض

- هههه طب يلا بينا هأنروح نجيب شنطتك من المعرض أهدى مفيش حاجة

- تصدق أنا نسيت حوار الشنطة ده راحت من بالى

بدأنا بالسير تجاه محطة حمامات القبة معا وهى تؤنب نفسها كيف نسيت حقيبتها الخاصة بتلك السذاجة وأنا أحاول أن أهدئ من انفعالها وأؤكد لها بأننا سنجدها نظرت حولها بأستغراب متسائلة

- أنت تعرف ؟ أحنا فين ؟؟

- يا بنتى مش لسه قايلك أنى كنت هنا في ثانوى والله محطة المترو في وشنا بجد

أستمرت بالنظر حولها والتدقيق فيما نسير وهى لا تزال خائفة من الطريق اللذى نسير به وانا اطمنها

- يالهووى قولتلك اتطمنى خلاص قربنا

- معلش صدقنى متوترة مأعرفش ليه ...

- هأقولك حاجة ... طيب

جذب ذلك انتباهها وشتتها من الخوف قليلا وبدأت في التركيز معى وأكملت حديثى قائلا

- بصى لما كنت في ثانوى ... زى أولى ثانوى كده كنا بأروح مع المترو طبعا وبأنزل محطة حمامات القبة اللى أحنا رايحين نركب المترو منها دي المهم في يوم كنت واقف مستنى المترو عادى ولقيت بنت واقفة عالرصيف مستنية رامز ههه هتقوليلى عرفت منين هأقولك رامز ده واد كان أكبر مننا بس بيسقط ولسه في المدرسة عمرى ما عرفت هو في سنة كام المهم البت دي كانت بتركب معاه علطول وعيال غريبة بس تعرف رامز راحوا غلثوا

عليها وقالولها لو ماروحتش معاهم هايروحوا يقولوا لعيلتها أنها بتروح مع رامز ده

- ايووووه وبعدين يعنى ....

- البت دي مأروحتش من يومها ومحدش عرف هى راحت فين ولا عملوا فيها ايه للأسف بسبب أنها شافوها ماشية مع واد ولا رامز طلع يعرف العيال دي والبت راحت للأبد

- يا ساتر يا رب أنت خوفتنى منك وأنا عاوزة أروح دلوقتِ هو في ناس شريرة كده يلهوى والله

لم أكن أقصد هذا ولم أعرف بما أرد ... سرنا معا قليلا بعد وكانت محطة المترو قريبة منا فأخبرتها

- محطة المترو أهئ أنتِ متعرفتيش ولا أنا عرفت أسمك عاوزة تروحى تعالى هأركبك المحطة لسراى القبة وأنا هأروح عاوزة تروحى المعرض وحدك هأديكى فلوس تركبى وهأروح أنا مكنش قصدى أخوفك أنا قولتلك ليه فكرت أمشى بعيد ....

- شششش متكملش أنا جاية معاك

نظرت لها بأنى لم أفهم المقصد أين ستتجه معى ثم قالت

- أقصد هأتيجى معايا المعرض نجيب الشنطة وهأبقى أحاسبك بجد أنا آسفة معرفش قلت كده أزاى

نظرت لها في سخرية قائلا

- لا لا أنا خوفت عاوز أروح دلوقتِ

لم ترد وانما سارت تجاه المترو وتبعتها وأنا أستمر باغاظتها والضحك منها

*****

«فبراير ٢٠٢٠ »

لم يكن للطريق زحامه كما تعود أن يرى الطريق مليئا بالحياة فقد تخلت عنه أقدام المراة وإطارات السيارة وتركت الطريق للقلة التى تمر به صباح كل جمعة هو يعرف ذلك الطريق جيدا يحفظ كل تفاصيله وكل حكاياته طوال ست سنوات كاملة يمر من هنا كل يوم ببطء تام متلفتا حوله محدقا في وجوه المارة من حولا أملا أن يراها مرة أخرى ولكن دون جدوى لا يعرف هل خذله الزمن ؟؟ أم خذلته عيناه ورأها مرة لكن لم تتعرف عليها عيناه الحزينة أم ماذا ؟؟ تنهد وأخذ نفسا مطولا وهو يبحث عن مكان لركن سيارته به لا يريد أن يركنها أسفل المبنى الذى يحوى مكتبه كما أعتاد وإنما أختار أن يركنها بعيدا نوعا ما قبل أن تبدأ رحلة البحث عن صاحبة ‘بوكيه’ الورد لم يكن يعرف هل سيراها حقا تلك المرة أم ماذا وهنا أفاقته أبنته الصغيرة من هالة أفكارة المضطربة وهى تسأله

- بابا ؟؟ أحنا عند شغلك ولا ايه ؟؟

- آه يا بسنت بس مش هأروح المكتب

- بس بص ده عمو بتاع القصب اللى بنشرب منه العصير أهؤ أنا أفتكرت علطول أول ما شوفته

- أيوه يا حبيبتى برافو عليكى هو فعلا بس صدقينى مش رايحين المكتب أنهاردة خالص

أصابت الحيرة الفتاة الصغيرة فهى أعتادت القدوم مع والدها في الكثير من الأحيان لمكتبه الخاص بحى القبة وشاركته العديد من مشاريعه الناجحة ولكن إن لم يكن السبب يكمن في المكتب فما هو السبب ؟؟ تركت لنفسها بعضا من الوقت تفكر به وتتخيل لما هم هنا وماذا سيفعلون ما الشئ الذى جعل والدها يتخلف بوعده عن زيارة قريبتهم مروة التى تحبها كثيرا وتفضلها عن الكثير من أقربائهم ...

وعلى الجانب الآخر ليس ببعيدا وليس بقريبا أوشكت صاحبة 'بوكيه' الورد برفقة حبيب إبنها على الوصول لنفس المكان الآن تسترجع صندوق ذكرياتها وتبدأ في محاولة ترتيب كافة الأحداث التى مرت بها بذلك اليوم هى تخشى أن تهرب منها ذاكرتها ولا تعود فتتذكر الطريق جيدا مرت سنوات عديدة منذ أن قامت بزيارة حيها القديم وبدأت في التشوش قليلا مرت العديد من السنوات ولم تتغير مشاعرها عندما مرت بالطريق وحاولت أن تترك لنفسها الأمل أن يتغير شيء ما وتعود فتلاقى فارسها مثلما حدث قبل عدة سنوات ولكن ما الجدوى فقد تأخرت بها الفرص وهى تنظر لحبيب أبنها اللذى أخذ غفوة بجوارها في السيارة ولم تشأ إيقاظه وجدت لنفسها مكان

مناسب لتركن به سيارتها وهى تراقب الطريق تبحث بعيناها عن فارسها الغامض

*****

« كالضوء مررت، كخفق العطر، كهزج اغانٍ شعبيه
ومضيت شراعاً يحملني كقصيده شمس بحرية «

لـ ماجدة الرومى

«عودة ليوليو ٢٠١٠ »

للمرة الثانية في نفس اليوم أستقل مترو الأنفاق لا يمكننى تذكر كم مرة ركبته من قبل أنها مرات قليلة للغاية لكن ها هى المرة الثانية بصحبة نفس الغريب ولكن هل ما زال غريبا حقا ؟؟ أنا أنظر له بكل تدقيق في ملامحه السمراء جبهته العريضة نوعا وشعره الأقرب للصلع والخشونة في نفس الوقت مع عيناه الساحرتين ولا أرى أى شيء غريبا به أنه مثل كتاب كبير من الصفحات المفتوحة لا يخفى أسرارا قد أرغب بمعرفتها عنه ولكننى أرغب بمعرفة المزيد عنه فارسى اليوم اللذى لم يأت راكبا حصانه ولكنه أحضر لى الورد وهى أفضل من مئة جولة بأى حصان أنا لا أكره الأحصنة أتذكر ذلك الأسبوع اللذى قضيناه مع عمى في عزبته ركبت العديد من الأحصنة ولكن الورد أفضل بمراحل لما هو صامت كل هذا الصمت أرغب بسماع المزيد عنه بكل شغف واهتمام هل يرى أحدهن ؟؟ هل هو ناجح في عمله كما يقول هل هو فنان ويقدر الفن مثلى لما لم يتحدث معى في الفن أنه غامض لعله مجرد عامل دهان للحوائط لا أكثر وإن يكن ما عيب ذلك .....

- قربنا نوصل على فكرة نازلين المحطة الجاية

كان المترو يقف بالمحطة السابقة لوجهتنا أغلقت أبواب العربة لم أرد عليه التزمت الكثير من الصمت وبدأ المترو في التحرك وأتجهنا للباب في نفس الصمت ونزلنا من العربة معا واتجهنا للمخرج حيث التقيت به أول مرة ومازال الصمت يعم أنه لا يتحدث تقريبا وبدأت في محاولة معرفة كيف وصلت لهنا من المعرض لا أتذكر الطرق جيدا وبدأنا في سؤال أحدهم ثم عرفت أى الشوارع تتجه لهناك توقفت عن السيرثم أخبرته

- تقدر تروح خلاص تعبتك مع السلامة ...

- ايه استنى ايه ده ؟؟

- نعم ؟؟ عاوز ايه يعنى ؟؟ خلاص وصلت تقريبا شكرا

- أنتِ بتعملى كده ليه ؟؟ طيب

لم أرد عليه وبدأت بالسير مجددا ولكن في خطوات واسعة وسريعة لم أتوقع منه أن يتبعنى بعد وقاحتى معه

- بست بست في حاجة وقعت منك تانى ..

حسنا جاء صوتا قويا من خلفى لم أمنع ضحكتى وأنا أجيبه

- ايه اللى وقع يعنى ؟؟

- أنا .... أنا اللى وقعت منك ومش هأروح بيتى غير لما تأخدينى معاكِ للمعرض أنا عاوز أجى معاكِ بجد

- طب مش عيب تبقى كبير كده وأنا اللى أخدك للمعرض يلا سوق رجلك قدامى من هنا

- و الله هو العيب تبقى كبيرة كده وتوقعى حاجات منك كده مرة ورد ومرة أنا

أخذنا نضحك كثيرا وأكملنا السير ونظرت له وأنا أهدده

- طب إياك تسكت تانى طيب

- هه يعنى أقولك ايه ؟؟

- أرغى في أى حاجة في أى حاجة

نظر حوله كمن يبحث عن كلام في أرجاء الشوارع وسألنى - بتحبى الكورة ؟؟

- بأحب الكورة ؟ ينفع أقولها عادى يعنى يالهووى ...

ثم رفعت من صوتى صارخة بحماس قائلة

- أنا بأحب الكوووورة أنا بنت وبأحب الكوورة بأحبهها بأحبها أووى يا معقدين

- يخررابى أنتِ اتجننتى ؟؟ مالك ؟؟

- عمر ما حد عرف أنى بأحب الكورة أصلا

- يسلام هى حراام ؟؟ولا ابيه

- يأبنى أنت مأشوفتش الناس اللى بتعامل معاهم هأيفتكرونى مجنونة لو عرفوا كده ومش هعرف يعنى أقولهم كده

- أنا مش شايفك مجنونة خالص على فكرة ... أنا شايفك حقيقية وحقك تحبى أى حاجة قلبك عاوزها

- فعلا .. تعرف أنك مش زيهم

- لا لا ده أنا أولهم

- نعم ؟؟

- يووه يقطعنى هو أنا مأقولتلكيش ... أنا مش بأحبها ومش بأشجعها أصلا ومعرفش اللاعيبة المشهورة بتوعها

- يعنى متعرفش أبوتريكة ؟؟ أنت بتهزر ؟

- أبو تريكة ده ايه لاعب كورة يعنى ؟؟

- لا والله ؟؟

- ههه لا لا مش للدرجة عارف أبو تريكة طبعا أقصد مش متابع أووى

- طب من اللى أخد كأس العالم اللى فاتت دي ؟؟

- أه اسبانيا لما كسبت الطواحين الهولندية بهدف أنيستا في الاكسترا تايم لأول مرة في تاريخها

- هههههه لا والله ؟؟

- أنتِ صدقتى .... يبنتى وهو في رجل طبيعى في الدنيا مش ب يحب الكورة ولا بيشجعها حتى ؟؟ هأنهزر بقى أنا اللى مستغربك في واحدة بتحب الكورة ؟؟

- لا وبأعشقها كمان .. تعرف ؟؟ أنا عارفة كل بطولات أمم أوروبا كل ال المنتخبات اللى كسبتها بالسنين كمان وكأس العالم بردو وبأتابع الدورى الإنجليزى أكتر حاجة وكل ماتشات برشلونة عشاان ...

- شش وصلنا لبوابة ٢ خلاص

- ماشى نبقى نكمل بعدين .... تفتكر هالاقيهم أصلا ؟؟

- هه لا والله أنتِ جاية تسألى دلوقتِ بعد ما جينا

- أصل بص ... مش عاوزة أدخل تعرف تخش تجيبلى الشنطة وتيجى ..

- ياه على الذكاء وأنا هأعرفها منين يعنى ؟؟

نظر لنا أحد أفراد الأمن وتوجه إلينا مسرعا وهو يحمل معه شارتى وحقيبتى وأدواتى التى كانت خارج الحقيبة وقبل أن يصل إلينا رجل الأمن أبتعد هو ببضع خطوات واسعة مناسبة بسرعة بطريقة مفاجئة وبينما أنا أنظر له باستغراب عما بدر منه وعلى وشك اللحاق به قاطعنى رجل الأمن وبدأ يسلمنى شارتى وحقيبتى

و أدواتى في رفق وشكرته كثيرا ثم خطى هو نحوى بسرعة وأنا أنظر له مستنكرة ما قام به وقبل أن أسأله بادر هو الحديث

- كان هأيقول أسمك أكيد عشان معاه الكارنيه بتاعك وانتى اتفقتى ماعرفش أسمك وأنا وافقت وكده مأعرفتش اسمك اهو

شعرتُ بحبه في صوته وقدرته على الا يخذلنى أبدا

- و الله ما عارفة أرد عليك

- هههه بذمتك هو مش قال اسمك طيب ؟؟

- قال الزفت يا عم وأنت أزاى كده أصلا ...

- المهم مكنتيش عاوزة تخشى ليه ؟؟

- ما أنا مش هأقولك هأتفتكرنى تافهة وحساسة وبتاع وقرف

صمت قليلا وهو يفكر ثم قال لى

- و أنا لما عرفت أنك بتحبى الكورة أفتكرتك مجنونة زيهم أو مسترجلة يعنى .. هو أنا كده كده شايفك مسترجلة أصلا بس مش عشان بتحبى الكورة

- و الله ده أنت رخم أووى بجد

- ايووه عارف المهم هأنخش ولا هأنروح ؟؟

- لا لا تعالى هأفرجك لوحاتى ... عشان تقدر الفن بس

أظهرت الشارة الخاصة بى لحارس الأمن وسرت في قلق عارم من أن يكون أحد أصدقائى ما زال هنا أو ماذا لا أريد رؤيتهم الآن خصوصا وأنا برفقة ذلك الغريب حتى وصلت للمكان المخصص بى وأشرت له أن هذه هى لوحاتى وأمرته أن يذهب ليشاهدها عن قرب لم أقلق كثيرا عن رأيه أنا أعلم أنه أول معرض لى وذهبت أتفقد الصالة كلها حتى أتأكد من عدم

وجود أحدهم أنفصلنا للمرة الأولى منذ تقابلنا صباح اليوم لم يسبق لى أن قضيت كل هذا الوقت مع نفس الشخص طوال حياتى وأرغب بقضاء المزيد معه أيضًا ولا أسال نفسى عن السبب على أى حال تأكدت من أن الصالة خالية تماما من أصدقائى ورجعت لفارسى الجميل كان يكتب باهتمام شديد أمام لوحاتى فتركته ينهى الأمر ووقفت أتطلع له في عجب مما يفعله أنه لا يلتفت حتى وينتقل من لوحة لأخرى ويستمر بالكتابة وقفت مستندة على الحائط وتركت أصابعى تلعب بأطراف شعرى في أحساس رائع واذا بأحدهم ينكزنى على كتفى من الخلف وألتفت لأجدها علياء صديقتى أنا التى فوجئت بها وهى تقول

- ايه أخيرا لقيتك يا بنتى يالهوى ... عمالة أدور عليكى من الصبح كنتى فين كل ده ؟؟

- ايه ده ؟؟ علياء ايه المفأجاة الجامدة دي معلش بس روحت مشوار كده وأتاخرت

راحت تقبلنى من خدي بحرارة كبيرة وهى ترد

- ولا يهمك يا حبيبتى كويس أنى لمحتك وأسلم عليكى

- ربنا يكرمك يا علياء تعبتك والله

راحت تشوح بيدها في عنف نوعا ما مستنكرة ما أقوله لها وكانت كثيرة التعبير الحركى حين تتحدث ولا تعرف كيف تحفظ يدها جانبها أبدا وهى تصرخ

- لا إزاى .. متقوليش كده ده أقل حاجة ده خيركوا علينا من زمان يابنتى

- شكرا بجد اتفرجتى على اللوح طيب ؟؟

- لا معلش يا حبيبتى ده محمد جوزى عمال يتصل يستعجلنى .. عشان يأخدنى معاه بعربية الشغل

برقت لى الفكرة في رأسى فورا الأمر بتلك السهولة سأطلب منها أن تأخذ اللوح معها للبيت وأكمل يومى مع فارسى والرائع ولكنها أضافت

- كان على عينى أخلى محمد يوصلك الحاجة بس هو جه بدرى ومش هأعرف أخليه يستنى ...

- لا وده معقول بردو أنا هأبعت معاه الحاجة من دلوقتِ

- طب والمعرض؟؟ لسه باقى اليوم

- يستى مش مهم ...

قمنا كلنا بتغليف اللوح على عجالة من أمرنا وكان محمد قد وصل بالفعل

وأخذ اللوح معه وودعناهم سوية وتمنعت عن الرجوع معاهم للبيت بحجة أنه لدى مناقشة قوية مع أحد النقاد ولا أرغب في تفويتها بالطبع ونظر ذلك الغريب حسنا أعرف لم يعد غريبا ولكن بما أدعوه لا أعرف له أسما ولن أساله على أى حال نظر لى قائلا

- يلا كان كان يوم حلو ...

- نعم .. أنت بتقول ايه رايح فين ؟؟

- هأروح بيتنا وأنتى هتقابلى الناقد أو الأستاذ المهم ده يعنى

ضحكت مما قاله وأنا أخطف منه ما كان يكتبه قائلة

- وأنت كمان هأتقول على نفسك ناقد مهم وبتاع وأستاذ صدقت نفسك أنت أووى يعنى والله

- أومال قصدك ايه مش فاهم حاجة

أخبرته بأن نذهب من هنا تابعنا السير للخارج وأنا لا أكف عن التفكير فيما فعله ونظرت له قائلة

- أنا لغاية دلوقتِ مش مصدقة أللى أنت عملته جوه بجد والله فرحتنى جدًّا ... كل ده عشان تحافظ على اللى كنت عاوزاه ومتعرفش أسمى

- شكرا ... شكرا أنك مقدرة ده جدًّا

و أكملنا طريقنا للخروج من بوابة رقم اثنين

*****

« هناك أشخاص تستطيع أن تحتفظ بهم في قلبك بكل حفاوة رغم مواسم الغياب الطويلة لأن حضورهم الأول لم يكن عاديا أبدا »

لـ أحلام مستغانمى

هى تسير على جانبى الأيسر حين خرجنا من البوابة الخارجية للمعرض و تشوح بالورق اللذى كنت أكتبه عن رسوماتها بالداخل وهى تصرخ في طفولية

- ايه الحلاووة دي كان ناقص تدينى نجمة بتضحك ...في حد يكتب ايه القرف الحلو ده .. ولا مش فاهم حاجة بس شكلها لوحة جامدة اووى خدى عشرة من عشرة

أنها الآن تسخر من جهلى أو تعترف ببساطتى لم أعرف أنا لا أعرف بملامحها الطفولية للغاية خصلات شعرها متطايرة في عشوائية جميلة تمتلك أنف مستقيمة شفاه صغيرة رموشها قاتلة ولن أنسى فستانها أبدا فستان صيفى مشجر بورود كثيرة للغاية لا يوجد لون لم يضمه تقريبا ويعلوه جاكت او ما شابه أسود فحمى هى جميلة جدًّا ببوكيه الورد اللذى أعطيته

لها وأضافت قائلة :

- المهم مش عاوزة أركب المترو تانى ... زهقت منه

- ههه بالسرعة دي ؟؟ ده أنا مش بأركب غيره

- بأقولك ايه تعرف تتمشى شوية!! أنا معايا وقت لحد ما مقابلتى مع الناقد

الكبير دي تخلص

- هههه ده أنتِ حلوة وبتتريقى اهو ...طب هاتى الورق اللى كتبته ده خسارة فيكِ أصلا

مددت يدى أحاول خطف الأوراق منها ولكنها سحبته مسرعة وضمته لحضنها قائلة

- ايه القمص ده أصلا الورق ده أول رسالة من معجبين هأفرط فيه ازاى ؟؟ أنت معجب يعنى يعتبر

وضعت الورق داخل الحقيبة ونظرت لى قائلة

- تعرف أنت أكتر واحد بأحس أنه بأكون أنا وانا معاه مش بأكون واحدة تانية

- يعنى ومأتبقيش أنتِ ليه ؟؟

- ممم هأفهمك بعدين ... تعالى هأعزمك على الغدا يلا ...

شعرت بالخجل ولا أعرف ما اللذى يمكننى فعله في مثل تلك المواقف لا أحمل الكثير من النقود هل أفرط ببساطة وأترك

أحداهن تدفع لى وجبة الغداء ببساطة لجمت عن الرد وهى تتلفت حولها

وقالت لى

- البيه يحب يأكل ايه ؟؟ أنا عازماك

- أيوه أنا عمر ما واحدة عزمتنى على حاجة أنا الرجل

- هه براحة يعمر السى سيد وأنا عمرى ما عزمت واحد وأنا الست ... يلا بيينا تفتكر ساندويتشات الصبح دي عملت حاجة ؟؟ أنا بحب الأكل جدًّا

تركتنى وهى تسير ومن دون النظر خلفها قالت لى

- لو مجتش ورايا هأجيبلك على مزاجى ... وهتأكله على فكرة أحسنلك تبدأ تمشى

- ههه خلاص جاای وراكى اهو

سارت أمامى بخطوات عسكرية ويداها ترتفع تباعا لفوق والكتفان مشدودان لأعلى وبخطوات واسعة للغاية بدأت أسير ورائها مقلدا إياها وصرنا ندب على أرض الرصيف بقوة ولم ننطق حرفا واحدا ثم قلت لها

- طب اللى هأيضحك الأول هو الخسران ...

و رفعت يداها في تحية عسكرية وأنا أكتم ضحكاتى بكل قوة وهى لا تبدو كمن سوف تضحك من الأساس لم تمر دقيقة قبل أن أضحك منا وهى

تقول

- و عاملى فيها فتك أووى كده ليه بس

- خلاص يافندم آخر مرة سعادتك

أطلقت تنهيدة قوية للغايه ثم قالت

- فكرتنى بعمر والدى الله يرحمه كنت بأحب ألعب معاه اللعبة دي وأنا صغيرة بس عمرى ما كسبت كنت فاكرة نفسى مش هألعبها تانى أبدا

- الله يرحمه كان قريب منك يعنى

- قريب كلمة قليلة جدًّا كان فعلا جدى بجد

- أحكيلى عنه كنتوا بتعملوا ايه تانى ؟؟

أخذت نفس عميقا وسرحت بعيناها ثم أجابتنى

- ياه أحكيلك ايه ولا ايه بس .. يأبنى كانت الحياة حلوة معاه جدًّا وأنا صغيرة كده كنا بنروح نقضى يوم العيد في البيت بتاعه كنا بنركب العجل وبنطير الطيارات الورق وبص كان حنين عليا جدًّا وبيدلعنى آخر دلع

- اشمعنا أنتِ يعنى مكنش في أحفاد غيرك يعنى ؟؟

- هه يالهوى يبنى كنا بنبقى زى الجيش لما بنتلم عنده كنا كتير جدًّا جدًّا ولا عشرين عيل والله بس دايما كنت بأحس بدلعه وحبه كده الله يرحمه

- الله يرحمه ويحسن إليه

- أنا تعبت اووووى على فكرة

- مش من المشى صح ؟؟ .. مشيتك زى ما هى و

قاطعتنى بسرعة

- ايوه مش من المشى مشى ايه بس اللى يتعب يا عم أنت تؤ

مش من المشى خاالص

- ما أنا مش هأقدر أخمن تعبانة من ايه يعنى ؟

- هه هأحكيلك يعم حاضر ..

كنا قد جلسنا على أحد مقاعد الانتظار لوسائل النقل بالشارع ثم سندت يدى وبدأت النظر لها في اهتمام وهى تضيف

- بص عاوز تعرف أنا كنت راجعة النهاردة ومعيطة أنت لحد دلوقتِ مسألتنيش

- كنت عارف أنك هأتقوليلى في الوقت المناسب

- أشمعنا يعنى ؟؟

- بصى أنا دايما بأشوف البنت بتحكى بس لما تبقى عندها ثقة في أن اللى هأتحكيله هأيحس بيها ويحس باللى هأتقوله من جواه ساعتها بس تقدر تحكيله

- و أنا عندى ثقى فيك كده ؟؟ يعنى

- لا خالص بس هأتحكيلى برضو ...

- أيه ده أزاى يعنى ؟؟

- معلش وأنتى بنت أووى يعنى ده أنتِ شبه عم عبده حتى

تقلبت ملامح وجها قليلا وراحت تلف بعينيها في الأرجاء حولنا كنت أمزح لا أكثر ثم نظرت لى عن قرب وأقتربت بوجهها تجاهى أكثر وهى تهمس تقريبا

- هو أنت فعلا مش شايفنى بنت أووى كده بجد ؟؟ وشبه عم عبده كمان

بماذا أقول وماذا أرد على سؤال مثل هذا يبدو سؤال مثل الأفعى لا يوجد مفر منه ثم قالت

- ها أنا بجد شبه عم عبده ؟؟ زى ما بتقول

- هاه ... وأنا رأيى هأيفرق معاكِ في ايه ؟؟ يعنى

- عشان أنا عندى ثقة من جوايا فيك أنك هأتحس بيا زى ما بتقول وساعتها بس أقدر أحكيلك

- وأنا قد الثقة دي ... وأنتى هأتبقى أحلى عم عبده شوفته في حياتى كلها بجد

- طب مين عم عبده ده ؟؟

- ده الأسطا بتاعى وأنا صغير كان بيحبنى جدًّا واتعلمت منه كل حاجة وخلانى صنايعى قد الدنيا

- يعنى أنا شبه عم عبده الأسطا بتاعك والله ؟؟

- أنتِ على أحلى شوية ...

ضحكت منى قائلة

- أحلى شوية ؟؟ وبس حرام عليك ما تبصلى كويس أنا لابسة فستان ومناخيرى صغيرة ومش بدقن ولا بشنب ولا حاجة

- هه دمك خفيف كده يعنى ...

- مش أخف من دمك ... تصدق مش هأقولك حاجة أصلا وأسكت بقى

- خلاص مأتقوليش براحتك ايه المشكلة يعنى أنا ؟؟ أنا لا هأزن ولا هأقولك

أحكيلى ١٠٠ مرة في الدقيقة خالص

- خلاااص بص أنا الحمدلله ولله كل الحمد والشكر .. ربنا رزقنى أشترك في معرض النهاردة لأول مرة في حياتى ...

قلدتها وقولت لها

- لا لا من الأول خالص ليه أشتركتى في المعرض ؟؟ وايه اللى وداكى هناك

- يسلاااام ده من إمتا ده يعنى ؟؟

- من دلوقتِ يعنى ..

- مش حابة أبقى نكدية بس وأقرفك بصداعى ومشاكل تافهة أصلا

- هههههه ماشى وبعد ما اشتركتى في المعرض حصل ايه ؟؟

- ابدا يعنى أنا عارفة الميعاد من شهرين مثلا وكنت عمالة أستعد له وكده وكان عندى بنتين صحابى بيجهزوا وكده فرحهم بعد تلات أسابيع أصلا وكنت شقيانة كتير معاهم ومضغوطة أرسم حلو عشان أطلع حاجة كويسة دي فرصة كبيرة أصلا

- ها وبعدين حصل ايه ؟؟

- تخيل محدش جالى لا مى ولا حبيبة ولا طارق ولا حتى أحمد محدش

أعتذرلى محدش كلمنى أنه مش جايلى كنت واقفة كده ...

- كنتى واقفة وحدك والناس كلها حواليها صحابها وفرحانين حسيتى بخنقة في نفسك وجريتى لبره مش كده ؟؟

نظرت لى في دهشة وأكملت

- بالظبط هربت قبل ما أعيط قدامهم وسيبت شنطتى هناك واللوح بتاعتى والفلوس هناك

وقف أدلى بتلك الانحناءة المسرحية الشهيرة وشوحت بيدى

تحية لها وأنا أسقف في حماس بالغ قائلا

- برافو ... عليكى أنتِ شجاعة جدًّا

- ها لا بجد بتتريق

- لا انا بأحييكى بجد من قلبى برافو عليكى أنا فاهم أحساسك جدًّا أنا مريت بحاجة شبه كده من فترة

جلست أمامى متوترة وهى شاردة الذهن تماما ونظرتُ لها في اهتمام بالغ جالسا بجوارها مرة أخرى وأنا أقول - ههه لا لا استنى ده فعلا اللى حصل بس أنا مشيت يومها مبسوط أنى مأقصرتش معاهم في حاجة أصلا

- ممم أنا فاهماك صدقنى

- أومال مكنتيش مبسوطة ليه يعنى ؟؟

- مش كل الناس معندهاش دم زيك هههه

- أهؤ قلة الأحساس نفعتنى في حاجة أحسن ما أبقى عيوطة زيك كده ... المهم هأتعملى ايه مع صاحباتك دوول ؟؟

نظرت لى في ابتسامة زهو

- هأمشى وأنا مبسوطة عشان مأقصرتش معاهم في حاجة بس كان نفسى يجوا هأعمل ايه .. ما هما صحابى وبأحبهم واللى طلعت بيهم من المدرسة والكلية مكنتش عاوزة أفرح لوحدى

- بأحييكى تانى من قلبى برافو عليكى بس دي مش هأتكون آخر مرة أفتكرى ده دايما لازم تدورى على معارض تانية وأفكار لرسومات جديدة وناس تكمل معاكِ وتشجعك جامد سيبك منى ..أنا بتاع فرشاة مش أكتر انما هتلاقى اللى ..

قاطعتنى قائلة

- أحلى بتاع فرشة في حياتى كلها أوعى تستقل بنفسك تانى أبدا كلامك اللى كتبهولى ده عمرى ما هأرميه على فكرة

شعرت بالخجل منها وأخبرتها

- أنتِ مكبرة بيا أووى عالفاضى على فكرة مش كده يعنى

- أنا أكبر بيك براحتى أنت اللى بتصغر نفسك عالفااضى .. وماتعملش كده تانى تعالى قدامى خش هنأكل هنا خلاص أنا قررت .. يلا عشان جوعت

دخلنا سوية للمطعم وتركت لها تختار وجبتها المفضلة وجلسنا نأكل في هدوء تام كانت فعلا تشعر بالجوع ولم نتحدث معا حتى أنهت وجبتها قبل منى أستاذنت وذهبت لدورة المياة وعادت مرحة كعادتها وجلست تنظر لى بإمعان غريب وأنا أكمل باقى الأكل ثم شعرت بالحرج منها ف توقفت عن الأكل وما أن توفقت حتى اكملت هى الوجبة بدلا منى لم أعلق حتى ولكن نظرت لروحها المبتهجة وشهيتها الكبيرة وهى تأكل ... حتى انتهت ثم نظرت لى وقالت

- بقولك ايه هأقولك سر

- بقولك ايه هاقولك سر ..

بدا عليه الاهتمام الشديد وهو يرد

- كلى آذان صاغية يا سيدتى

- هه على فكرة أنا مش بحب الكرتون خالص تقريباً كده بكرهه ومن وأنا

صغيرة خالص

- خلاص مش هتكلم كده تانى .. بس قوليلى ايه السر

- ههه يبنى ما قولته خلاص هو ده السر

أرجع رأسه للوراء مستنكرا ما أقوله له

- هو ده السر ؟؟ احلفى كده

- والله العظيم كنت هقولك كده مابحبوش الكرتون ده

- سر مثير جدًّا طب في سبب يعنى ؟؟

- كله كدب في كدب مش بيلتزموا بقوانين الحياة والبشر والسن والموت زينا الأبطال مش بيجرالهم اى حاجة خالص مهما حصل وبيقدموا مثاليات في عوالم مثالية مش موجودة كده خالص اساسا والحب بتاعهم افلاطونى

أخذته وصلة ضحك غريبة للغاية وأنا انظر له في برود قبل ان يتماسك ويرد علي

- ها وايه كمان ؟؟

- أووووه كتير جدًّا ...كابتن ماجد ده معدتش عليه حصتين فيزيا يعنى ولا ايه كونان ده كمان يلهووى تلاتين الف سنة مش بيكبر خالص وغيرهم وغيرهم

- طب سؤال أخيرا كده بالمرة يعنى توم وجيرى نظامهم ايه معاكِ بتحبيهم ؟؟

- ها ! .... هو بص مبقدرش ماحبهمش توم وجيرى دول عشق كبير جدًّا بالنسبالى وعلى قد ما بأكره الكرتون بحب توم وجيرى جدًّا جدًّا

- طب خلاص محلولة أنتِ بتحبى الكرتون بس مش بتلاقى اللى يناسبك بسهولة حتى لو بتحبى حاجة واحدة بس

- ماشى يا فيلسوف الغبرة

- هأتلبخى ولا ايه يا أم نص لسان أنتِ ...

استفزنى اخيرا وصرخت به

- أنت بتغلط ... مسمحلكش على فكرة

- براحة يبنتى هتتخانقى ولا ايه ؟؟

- بأقولك ايه ؟؟ تعرف تتخانق ؟؟

نظر لى في غرابة ثم أجابنى في تردد

- أنا في العادى مش عنيف ومش بأميل للخناقات يعنى حتى مش بأحب أفلام الخناقات والضرب دي

صرت أضحك في هستيرية شديدة وأجبته

- أقصد تتخانق معايا مش نضرب بعض بذكاوتك دي خناقة بين اتنين صحاب وخلاص

- آآآه فهمت فهمت

بدأ يقوم بحركات غير مفهومة والعبث بشعره ويخشن من صوته وهو ينظر لى بنظرات عدوانية نوعا ما قائلا

- أنتِ إزاى تنسى عيد ميلادى يعنى ... ده أنا عمرى ما نسيت ما عيد ميلادك خالص ولا أنا خلاص مأبقتش مهم بالنسبالك أنتِ لا يمكن تكونى صاحبتى

- فعلا !! أحلف أننا هأنتخانق عشان عيد ميلادك

أنتابته الحيرة نوعا ما ثم بدا كأنه يفكر بعمق للحظات وبدأ يعود لما كان يفعله وبنفس الصوت قال أيضًا

- أنا مش عاوز أكلمك دلوقتِ أنا حر قولى عليا أنانى بس أنا تعبت من تصرفاتك كلها ومش عاوز أتخانق معاكِ تانى

بدأت أنسجم معه وراقنى سبب المشاجرة وأجبته

- أنا اللى أقرر أنت حر ولا لا .. ومالها تصرفاتى يا أستاذ أنت أرحم من اللى بتعمله بكتير ايه مش عاجبك فيا

- مفيش كل أنتِ عجبانى كلك على بعضك

ضحكت منه قائلة

- أنت رخم أووى والله دي خناقة دي ولا بتعاكسنى

- ههه مأعرفتش أكدب بجد أنتِ عجبانى لسه مأعرفتش أى حاجة فيكِ مش عاجبانى خالص

- يسلاااام ده أنت بكاش أووى على فكرة

بدأ باسترجاع صوته الخشن وهو يرد

- حضرتك بتكدبينى يعنى .. وهأكدب عليكى ليه

نظرت له عن قرب قليلا وأنا أخبره

- و أنت تكدب أزاى بس في ملايكة بتكدب يعنى ده أنت ملاك

نظر لى مستنكرا ردى ثم أضفتُ أيضًا

- على فكرة بأتكلم بجد أنت طيب أووى والله زى الملايكة كده

هل ما أراه حقيقة أنه يخجل وتمنع عن الرد ثم قال في سرعة

- ها قوليلى تيجى ترسمينى وخلاص ؟؟

- أنت بتقول ايه ؟؟

- ترسمينى مش عاملة نفسك فنانة أتفضلى هأترسمينى دلوقتِ هى كبرت في دماغى وهأترسمينى دلوقتِ

- مالك يا اسمك ايه أنت ؟؟ مالك يعنى

- ها أرسمينى وبسرعة لو سمحتى مش بأهزر

نظرت لملامحه بدا عليها الجدية نوعا ما وأجبته

- طب مأعيش حاجة دلوقتِ أستنى هأنروح نشترى أقلام وبتاع ولوحة نرسم خلقتك دي

- هه أنتِ بتصدق كنت بأهزر أنا عارف أنك بترسمى حلو وشاطرة وهأتعرفى ترسمينى ما بتصدق أنتِ على فكرة

- طب بقولك ايه تصدق دي خناقة تحفة أووووى

- أييوه طبعا طبعا بس مش هنتخانقنها من غير خناق ماشى ؟

ضحكتُ مما قاله ثم قلتُ له

- بس هى نونوت في دماغى هأنتخانق ايه رأيك بقى ؟؟

- طب ولو أتخانقنا هأترسمينى ؟ بجد ايه رأيك بقى ؟؟

فكرت لثوانً وصمت برهة قبل أن يقول بقوة

- هاها قولتى ايه بقى ؟

- ماشى وأنا موافقة

- يا بنتى ما أنتِ لو وافقتى ترسمينى مش هأيبقى في حاجة نتخانق عليها أصلا فاهمة حاجة هأنتخانق على ايه ما أنتِ هأترسمينى ولو موافقتيش ترسمينى مخلاص أنا كده مش هأرضى أتخانق معاكِ ومش هأيبقى فيه خناقة أصلا

يا له من وغد حذق يهرب حقا من المشاجرات بمهارة دائما لقد أغاظنى الآن أكثر فحسب ثم صرخت به

- أنت رخم أووى اووى ايه الرخامة دي

- مأتزعليش أووى كده أنا بس فكرت شوية وقولت أنى مش هأبقالك غير مجرد ذكرى تيجى في خيالك كل فين وفين ومأحبتش غير أنى أبقى ذكرى حلوة مش أكتر

- مجرد ذكرى ؟؟ بعد كل ده هأبقى مجرد ذكرى بالنسبالك وبس يعنى مش حاجة تانى ؟

أنا أعرف أن الأمر في منتهى الحماقة ولكننى لن أخدع نفسى أنا أريد المزيد منه بشدة المزيد من الضحكة الصافية التى أضحكها بسببه المزيد من الأسرار التى أخبرها له المزيد من الحديث الخالى من الملل اللذى لا يتوقف المزيد من تلك العينين عيناه مميزتين بحق

- هيه .. أنتِ روحتى فين ؟؟

قاطعنى صوته لم أشا أخباره أنى معه فعلا أنى أتلقى خبر كوننا مجرد ذكرى كالصدمة أنا لا أريد هذا ولن أخبره شيئا أستمر صمتى التام وأستمر هو يحدق بى لفترة قصيرة قبل أن يفتح كمن سوف يقول شيئا ولكنه يصمت أيضًا لن أرضى بكونى مجرد ذكرى عابرة في حياته حتى لو كنتُ سأصبح ذكرى جميلة كما يدعى ولا نسمح لذكرياتنا السعيدة لتكون أحداث وحاضر نعيشه في نفس الجمال هل للسعادة أن تكون مجرد ذكرى لا أكثر ؟؟ صرخت به فجأة

- أحنا مش مجرد ذكرى ...

و تركته وقمت لأسير وهو لا يزال جالس في مكانه كنت متيقنة أنه سوف يتبعنى ليكسر غضبى كالمعتاد ويلقى علي تعويذة ما من صندوق ألعابه

السحرية فأعود سعيدة كما كان يفعل معظم فترات النهار ولكننى لا أسمع صوته خلفى ولا أشعر به يسير من خلفى أين هو ذلك الأحمق استدرت في بطء أنه لم يأت ورائى حسنا الآن لقد أغاظنى بحق أنا عائدة له لن أرحمه هو لم يرى غضبى حتى الآن ولكن بأى حجة سأرجع له فكرت لم أجد سببا بعد استمرت قدماى تقودنى رجوعا له وأنا لا أعرف أى الأشياء سأخبرها له وعندما وصلت لمكان جلوسنا في المطعم رأيت الورد وبدا لى أنه الأختيار الأفضل على الأطلاق لقد رجعت كى أسترد الورد الخاص بى لا أكثر وقفت لحظات ورأيت النادل مقبل عليه يبلغه بضرورة إعطائه ثمن الطعام الآن وهو يخبره أنى ذهبت بعدما أخذت حافظته بالمال وسأعود في دقائق أنى أمزح هكذا طوال الوقت كتمت ضحكتى قبل أن أبدا في السير رجوعا للخلف وتركه للنادل ولكن نظرات النادل أستوقفتنى وراح يعتذر له بشدة مشيرا لى ثم قال

- خطيبتك جت يافندم والله آسف جدًّا بس أنت عارف ولاد الحرام كتير أتفضلوا أرتاحوا وانا هأجيبلكم حلو على حسابى

نظر لى في أمتنان بالغ وهو يقول

- والله كنت عارف أنى مش هأهون عليكى

أنفجرت ضحكا بقوة وهو ينظر لى بأستغراب لم أتمالك نفسى وضحكت

كثيرا فقدت السيطرة على نفسى وراح هو الآخر يضحك مما قد حدث ثم قال

- على فكرة أنا لما لقيتك مشيتى بجد فطيت أقوم أجرى وراكى علطول بس لقطنى من ورايا وحصل اللى حصل

- فعلا قومت يعنى بجد ؟؟

- أيوه والله وقعدت أقول يا رب ترجعى يا رب ترجعى جامد جدًّا كنت خايف جدًّا

- كل ده بسبب الحساب يا عم ؟؟

- خاالص كان هأيجرالى ايه يعنى حتة علقة ولا كانوا هايطلبولى البوليس وهأبات في القسم لبكره ولا الرجل أصعب عليه ويروحنى

- اومال ايه ؟

- كنت خايف أووى مأشوفكيش تانى وتبقى مشيتى كده وانتى زعلانة وساعتها ..

قاطعته بسرعة

- مكنتش هأتبقى ذكرى حلوة مش كده

بدا عليه الألم وكان ليعترض عما قولته ولكنه أجاب

- أيووه صح مكنتش هأبقى ذكرى حلوة زى ما قولتى ... أنتِ صح عندك حق

- و هو ده اللى أنت عاوزه يعنى ؟؟ تبقى مجرد ذكرى

كنت أتوعده في ذهنى أن تحامق مرة أخرى لن أسكت له أنتظرت أجابته في ترقب قبل أن يقاطعنا النادل وأنزل على طاولتنا بعض الأطباق المميزة من الحلوى واللذيذة ولكننى تمنعت عن الأكل وصرت أنظر له في غضب أما هو أنتهز الفرصة ليهرب من الأجابة وبدأ يأكل ولا ينظر لى بتاتا دفعت الطبق بيدى للأمام معلنة عدم قبولى وفقدان شهيتى للأكل وهو لم يتوقف عن الأكل أغاظنى جدًّا قمت بركله بقوة في رجله مما دفعه لكبت صرخته في

صمت ثم قال

- خلاص والله مش زفت ذكرى ... ياللهووى مكنتش زفت كلمة كلى بقى الرز بلبن طعمه يجنن

أراقتنى الأجابة كانت أقل مما أريده لكنها مرضية لى نوعا ما

- ألف هنا وشفا كل الطبقين لو حابب

- مخلاص بقى أنا آسف ... كلى بجد بقى

تمنعت عن الأكل بحجة أنى لن أعود قادرة عن السير بعدها لكنه استمر في الإلحاح عليا فأكلتُ معه بالصدفة وجدت أننا نأكل بنفس الطريقة نبدأ من الجهة الأبعد للطبق ونأكل تباعا حتى ننهى الطبق بحيث أول ملعقة نتناولها هى أبعد شيء عننا آخر ملعقة نتناولها هى أقرب نقطة منا كنت أحدق إليه بغرابة شديدة وهو الآخر بدوره يحدق لى مصعوق من قوة الصدفة وتأثيرها لم يستطع أى منا قول حرفاً واحداً حتى استمرت النظرات تطير حائرة بيننا وقبل أن ننهى أطباقنا كانت أحدى الأغانى المشهورة تُذاع على التلفاز المقابل لنا « أغنية ولا على باله لعمرو دياب « كانت بالصدفة أحدى أغانيه المفضلة للغاية توقف عن الأكل وراح يدندن معها صوته قبيح للغاية لكن ذلك لم يمنعنى من التوقف ومشاهدته بترقب وهو يغنى وحاولت الا استمع لصوته البشع للغاية لكن دون جدوى نظر لى مطولا ثم قال لى

- كنت مستنيكى تعلقيلى على صوتى الوحش اللى عارف أنه وحش وانا مش بأغنى اصلا

- بص .. هو طبعا صوتك وحش بس عادى تقبلته وتعاملت معاه ايه المشكلة غنى براحتك في الآخر أنا مجرد ذكرى حلوة باقيالك

- ده مكنش رأي ريم

و أكمل الأغنية وأنا معه أشاركه الغناء وفى بالى أفكر هل بالفعل قام بمقارنتى مع تلك المدعوة ريم في نفس الجملة أم الأمر صدر بعفوية لا أكثر لم نتحرك بعدها من كثرة ما أكلنا بدأنا نتحدث أكثر معا في الرياضة وحبه لنادى «الميلان» أحد عمالقة اوربا كنا نتشارك انبهارنا بمستوى اللاعبين و مهارتهم وروحهم القتالية دون أن أشعر أنى غريبة الأطوار تحدثنا عن السفر ورغبتى الكبيرة في السفر خارج مصر و تمنع هو عن ذلك لكنى حكيتُ له عن الرحلة التى قومت بها للأقصر مؤخرا وحكى لى ذكرياته مع الإسكندرية حاولت إقناعه كثيرا أنه بالفعل لم يسبق لى زيارتها حتى الآن لكنه لم يصدق وبالفعل وعدته أنى سوف اسافر لها في اقرب فرصة هكذا مضت ساعة وأكثر من أقرب الساعات لقلبى فهو كتاب مفتوح أمامى لا يخبى شيئاً ولا يهرب من أى شيء يجاوبنى يحاورنى باهتمام دون ملل يشاركنى الكثير من الاهتمامات و الآراء يجلس أمامى وله صوته ورأيته كتاب عملاق بحق اتقلب بين صفحاته في سهولة وبساطة كان أكثر من مجرد عامل نقاشة بكثير مثقف طموح حكيم مرح نعم أرغب وبشدة في المزيد ....

*****

«رياحك تعدو بشراعى

وشموسك تلهو بمدارى»

لـ ماجدة الرومى

مال قرص الشمس مودعا النهار ليترك للقمر فرصة الظهور معلنا قدوم الليل معه ورفعت رأسى أنظر أحمرار الشمس كما تعودت منذ أيام الصبا هكذا كنت أتيقن قرب أنتهاء مناوبة العمل الخاصة بى وعودتى للمنزل فرحا الآن ولأول مرة منذ سنوات عديدة أحزن لرؤيته وأريد إبطاءه لا أريد للنهار أن ينتهى بتلك السرعة ولن أعود للمنزل فرحا كما تعودت ولا أعرف سببا لحزنى هذا الأمر أنه أرغب أن أعرفها أكثر لقد مضت ساعات عدة ولم أعرف إسمها حتى نظرت لى كمن تدرك ما يدور بخاطرى وقالت لى

- أخر النهار جه بسرعة أووى ...

- بس اخر النهار هو أول الليل دايما ركزى في قوة البدايات لأن النهايات عمرها ما كانت حلوة

- حتى لو نهاية حاجة حلوة يعنى ؟؟

هززت رأسى مؤكدا وأنا أقول لها

- حتى لو نهاية حاجة حلوة لأنها في الآخر بتكون أنتهت

- ههه ماشى مااشى مش هجادلك في اللى بتقوله

- ايه مش مقتنعة يعنى ... مش عادتك يعنى

- هه لا أنت أقنعتنى اووى بجد ..

- الحمدلله في حاجة بطلتى فيها مناقرة

- على فكرة بقى إزاى تقول كده أنت لسه مأشوفتش مناقرتى ولا لما أجادل في حاجة مش على هوايا مثلا ...

- مش محتاجين نشوف كل حاجة في اللى قدامنا عشان نعرفه على فكرة كفاية تكون لينا نظرتنا في اللى قدامنا

- يسلام أفرض أنك أحول هتعتمد على نظرتك إزاى يعنى ؟؟

- بالقرب على فكرة كل ما بنقرب بنشوف أكتر وكل ما بنشوف أكتر بنعرف أكتر حتى لو مشوفناش كل حاجة بس بنعرف وبنشوف وبنكون نظرتنا

- طب ماشى مش أنت قربت منى قوللى شايف ايه ؟؟

- نعم ؟ قربت منك في يوم واحد لا طبعا قليل جدًّا

- ياسيدى بلاش لحد ما قربت قوللى شوفت ايه وخلاص

- ممر شخصيتك مقاوحة بتحبى المناقرة والمجادلة ومش من السهل حد يقنعك بحاجة ... نوعا ما أنتِ شيك في لبسك في طريقتك تحسى نفسك شيك كده

- ممم وايه تانى يا عم المفتش كرومبو أنت

- عندك صعوبة في اكتساب ثقة الناس مش سهل ابداً تثقى في حد ولحد من وقت قريب كنتى خايفة وقلقانة منى بس اتطمنتى معرفش ايه طمنك والله بس أنتِ اتطمنتى ...

- ممم للأسف بتقول صح كتير على فكرة بس مش مهم برضو كل ده تخمين في تخمين

ضحكت وأنا أخبرها

- تخمين بس بذكاء على فكرة متنكريش

- مش بأنكر يا سيدى ولا حاجة

- كل ده عرفته من كلامك أنك دايما بتقولى أنك بتخبى اللى جواكى عن اللى حواليكى بس اللبس من فستانك ... الفستان يجنن على فكرة عجبنى جدًّا وحبيت ألوانه على الآخر أنتِ مجادلتنيش تقريبا طول اليوم في حاجة ومختلفناش تقريبا

راحت تصقف كثيرا بصخب وهى تبتسم وتعبر عن دهشتها مما أقوله قائلة

- بس غلطان في حاجة صغيرة كده على جنب ...

- أيه هى ؟؟ قوليلى

- أنا مالقتش حاجة اناقرك عليها من الأساس اليوم كان مختلف آه بس كان على هوايا بردو

- هههه شوفتى أهئ حاجة جديدة عرفتها عنك أنك مرنة بزيادة ومش بتصدى التغيير من حواليكى

- أنت ايه هتحضّر فيا دكتوراة ولا ايه مالك يعمر

- بحاول أعرفك مش أكتر ...

هى تسير مبتعدة عنى وأنا أتبعها مقتربا منها بدأت تسارع من خطواتها وبدأت أتبعها أنا لا أحاول إيقافها ولا الكلام معها حتى راقت لى فكرة أن اسير ورائها في هدوء وثقة للطريق التى أختارته هى استمرت هى بالسير وأنا اتبعها وفجأة انحرفت يمينا في ممر بين بنايتين قديميتين و صرخت في حماس قوى

- المكتب بتاعى في عمارة من دوول لسه معرفتش أنهى واحدة ولا الدور الكام ولا عامل إزاى ولا عبارة عن ايه ولا أى حاجة خالص

وقفت متأملا للحظات المبنيان قديمان متهالكان نوعا ما ولا يبدو لأى منهما أنه من الممكن أن يحتوى شيئا مهماً دققت النظر محاولة التخمين

لكن بلا فائدة فقولت لها

- مش فاهم أى حاجة

- أنا هأفهمك شقة جد بابا القديمة هنا وجدى اللى هو إبنه كتبها بأسمى وناس مأجرينها وعمرى ما عرفت هى أنهى واحدة من العمارتين دوول بابا جابنى هنا مرة ومعرفتهاش لسه بس دايما بأفكر هأفتحها ايه ...

- وجايبانى هنا أفكرلك في مشروع يعنى ؟؟

- مش بتقول بتحاول تعرفنى مش أكتر ههه اتفضل اعرفنى يسيدى أنت

- ده سر صح باين عليكى أن محدش يعرف غيرك

- لا مش بالظبط .. تعرف مفيش حد جه هنا قبل كده خالص من صحابى عمرى ما حسيت أن في صديقة ليا تستحق تعرف ده وتيجى معايا

- و دي حاجة حلوة ؟؟ ولا وحشة

- وحشة طبعا

نظرت للممر نظرة أخيرة مودعا إياه وبدأنا بالسير خارجا مرة أخرى وأنا أسالها

- وحشة ليه ؟؟

كانت ترد بحزن قائلة

- الوحدة وحشة ... عندى صحاب كتير وعمرى ما حسيت معاهم أنى مش وحيدة حاسة أنى لوحدى علطول

- بس أنتِ مش لوحدك على الأقل دلوقتِ أنا معاكِ

- النهاردة بس مأحستش أنى وحدى عشان كده جيت وريتك المكان اللى فيه الشقة بتاعتى

نظرت حولى محاولا إدراك أين أنا بالظبط لكن الذاكرة تقوم بخيانتى أو تتأمر علي لصالحها أنا أعرف أسماء الدكاكين من حولنا أدرك أى البنوك يقع هنا وأى المقاهى المشهورة هنا و لكن تاه من ذاكرتى أسم الشارع وسألتنى هى

- أيه مالك بتبص على ايه ؟؟

- ولا حاجة بس عاوز أعرف أحنا فين بالظبط ؟؟

بدأت تتلفت مثلى حولها وتبحث معى ثم أجابتنى

- محل بابا مش بعيد عن هنا يلا بينا

هل أقتربت النهاية الآن هكذا كنت أسال نفسى كنت أرغب أن أوصلها

لقرب منزلها أو حين رأيتها أول مرة حتى ولكن لم أفكر في حجة مناسبة وقولت لها

- يلا بينا هأوصلك

- أستنى بس وأنت هأتروح إزاى ؟؟ لا لا مش هأينفع

- ههه خايفة عليا يعنى هأعرف أوصل عادى هو أنا عيل صغير ولا ايه

- لا لا خاالص والله ... بس يصح أنت توصلنى وأنا أبيعك كده يعنى وترجع كل ده وحدك عيب على فكرة

- ده ايه الشهامة دي كلها يعنى

نظرت لى بغضب ولم ترد ومرت لحظات من الصمت قبل

أن اقول لها

- أنا عرفت هتفتحيها ايه خلاص

- الشقة تقصد ؟؟

- آه الشقة ممكن تفتحيها مرسم وتعرضى فيه كل لوحاتك الجميلة والرسامين يجى يرسموا عندك وتبقى شقة الرسامين

- تصدق ولا عمرى فكرت في حاجة شبه كده ...خالص

- ليه أنتِ بتعرفى تفكرى ترسمى حلو إزاى ورسمك عجبنى

- و أنا عجبنى أن رسمى عجبك كده

- بأكلمك بجد فكرى في الموضوع بجدية وشجعى نفسك .. متهيألى أن باباكى غنى ويقدر يساعدك في حاجة زى كده

- هو فعلا غنى بس ..

- من غير بس مفيش أب مش هيساعد ولاده

- باباك كده يعنى ؟؟ بيساعدك في ايه ؟؟

- أبويا ؟ أنا عمرى ما عرفت أبويا خالص

- إزاى يعنى ؟؟ أنت بتتكلم بجد ؟ في حد مأيعرفش أبوه

- أبويا بالنسبالى شوية صور متعلقة في صالة البيت بتاعنا بابا سافر وأنا عندى أربع سنين أخباره أتقطعت عننا من وأنا عندى ست سنين ومن ساعتها مأعرفتوش تانى

- أنا آسفة أنى فكرتك والله

- لا لا بتتأسفى على ايه ؟؟ عادى

- طب وايه بعد كده راح فين ؟؟

- عمرنا ما عرفنا أى حاجة عنه بقولك وأحنا صغيرين كنا كل عيد بنتجمع ندعى أنا وأخويا الصغير وأمى أن بابا يرجعلنا بخير لحد ما جه عيد نسينا فيه الدعاء ومن ساعتها وأحنا بطلنا ندعى ونسيناه بس أنا دايما بأدعى ربنا يرجع

- ولحد دلوقتِ ؟؟ بتدعى ربنا

- صدقينى لحد دلوقتِ بأدعيله ... أنا معرفش هو عايش ولا ميت حتى بس بأدعيله

- ربنا يقربلك البعيد أنا آسفة والله بجد

- لا لا عاادى من غير آسف ولا حاجة ..أحمدى ربنا أن باباكى عايش ومعاكى لسه ربنا يخليهولك

- عندك حق الحمدلله ... ربنا يسمع منك

- هاتروحى لمحل باباكى ولا أيه ؟؟

- لا لا مخلاص فوتنا الشارع بتاعه من بدرى ... أحنا توهنا لو مأخدتش بالك يعنى

- طب حيث كده هأنحود كده يعنى ..

كنت أشير لليسار من ذلك الميدان الواسع الذى وقفنا به ولكنها أشارت لعكس الطريق وردت

- لا هأنحود يمين من هنا

ضحكت منها قائلا

- أنتِ مش كان نفسك نتخانق ..أهئ خناقة زى العسل

ضحكت هى الأخرى وقالت

- لا لا لا خلاص هأنحود شمال يلا

عاندت معها وأخبرتها

- خلاص يبقى نحود يمين يعنى

- يووه حيرتنى على فكرة أمشى وانا هأتنيل أمشى وراك

سرت يمينا في النهاية وتابعنا السير معا ورحت أسالها

- مأقولتليش بقى باباكى ممكن ميساعدكيش ليه ؟؟

- ولا أعرف بس عمره ما حسيته مهتم بأى حاجة هو آه بيجيبلى أنضف اللوح والألوان براحتى وأحلى لبس وكل الكلام ده بس عمرى ما حسيته مهتم

- مش جايز تبقى ظالماه ؟؟

- أو هو فعلا مش مهتم عادى جدًّا ... ايه المشكلة مأتعمليش زى ماما تقعد تقولى كده

- طب أهدى براحة

بدت عليها عليها العصبية وهى تقول

- مأتقوليش أهدى أنا أتعصب براحتى

- بس يا بت بنتكلم بجد ... دلوقتِ بطلى تنطيط أنتِ فعلا جايز تبقى ظالماه وبابا بيحبك جدًّا

- و أنت اشعرفك يعنى ؟؟

صدمتُ من ردها الصادم الجارح وأكملت هى حديثها

- أنت ولا عارف بابا ولا قعدت معاه ولا شوفته مثلا لما بيروح مع أختى مشاوير معاها وبيجيب اللبس معاها كمان ولا لما حضر حفلة تخرجها أنت متعرفش بابا

- بس كل اللى بتقوليه ده مش مقياس لحاجة

- بس فارق معايا والله فارق معايا جدًّا النهاردة كنت واقفة وحدى مامتى

مش بتقدر تنزل كتير بسبب تعبها وغصب عنها ولا أختى أهتمت تيجى كنت واقفة وحدى

أقتربت منها قليلا بعد وأنا أهمس تقريبا

- لسه واقفة وحدك ؟؟ مش لازم تبقى وحدك أنا واقف معاكِ

- واقف معايا ؟؟

أجبتها مستنكرا

- ايوه واقف معاكِ هو مش كل ده كان علشانك

- علشانى أنا ؟؟

- أه يا اسمك ايه أنتِ عشانك ...روحت معاكِ المعرض عشانك وكملت باق اليوم معاكِ وعشانك أنا واقف هنا دلوقتِ عشانك و...

قاطعتنى بسرعة

- حقيقى من جوايا بأشكرك عمرى ما حسيت بيحاول يعمل كتير عشانى كده حتى لو بالبساطة اللى بتقولها

- مش مصدقك ... أدى بابا فرصة تانية وهأيتغير معاكِ صدقينى وحتى

صحابك أديهم فرصة تانية يعبرولك فيها عن حبهم وامتنانهم أنك في حياتهم وأدى لنفسك فرصة أنك تديهم هم الفرصة

- ممم مااشى حاضر

- كلام رجالة ؟!!

أغتاظت منى بشدة قائلة

- رجالة !! لسه شايفنى عم عبده برضو ...

- ههه لا لا خلاص ...ولا عم عبده ولا حاجة

قالت بغيظ شديد

- اومال ايه ؟ يعنى ؟؟

- قلبى لسه مشافكيش كويس أنا عودت عينى متشوفش لأن نظرتها بتكون ضيقة بتحكم على الشخص من نظرة واحدة بس

- لا برافوو برافو بتعرف تخرج من أى مطب كده

- ههه خلاص مش هخرج ولا حاجة أنتِ فعلا جميلة وحلوة ارتاحتى ؟؟

- ممم لا عاوزة أعرف قلبك شايفنى أزاى بجد ؟؟

- ده مبقاش مطب دي بقت حفرة غويضة .. هروح أجيبلنا حاجة حلوة وألحق نفسى

******

«ساعتها بسأل نفسى أكتر من سؤال
هو أنت مين؟ هو أنت واقع ولا خيال؟»

لـ سميرة سعيد

أحدق إليه بقوة كبيرة الآن لا ارغب أن تنساه عيناى بسرعة أريد تذكر كل ملامحه لربما هو محق كل ما سيتركه لى مجرد ذكرى تزور خيالاتى نهارا وتأنس أحلامى ليلا لا أكثر سيداعبنى كلامه ونبرات صوته سأرجع لأشم رائحة الورد الذكية سأنظر للشرفة ولن يكون متواجدا بها سأسير في الطريق ولن يخطو معى مجددا سأحكى ولن يسمع أنى بدأت أفتقد تواجده الآن قبل أن يختفى لكنى الآن أنظر لشعره الخشن الغريب عيناه فريدة من نوعها نظراتها كلها حب وشجن ملامحه عادية للغاية وأرغب في تذكرها كلها أحدق لكافة ملامحه وهو يبتاع لنا بعض الحلويات من المتجر لا أعرف كيف يشعر تجاهى ولن أعرف أتى مسرعا وهو يقول

- ها شيكولاتة ولا سادة ؟؟

- لا لا هأخد أم شيكولاتة طبعا أنا بأحب الشيكولاتة جدًّا

- و أنا كمان أستنى هأروح أرجع السادة ده

نظرت له أتطلع أن كان يتحدث بجدية وبالفعل لأرجاع الحلوى دون النكهة ورجع قائلا

- أنا جيبت الاتنين سادة عشان يبقى يوم مختلف عن ما أحنا متعودين في كل حاجة

أعجبنى ما قاله أنه على الأقل يقر بأنه يشعر أن اليوم مختلف عن عاداتنا وروتين حياتنا اليومى ومميز هذا شعور جيد أجبته قائلة

- عندك حق اليوم كان مختلف

- بس مختلف بطريقة كده ...

أجبتُ مقاطعة لكلامه

- مختلف بطريقة مختلفة كده أيه فرصة أنى كنت أقابلك في أى يوم تانى وتدينى الورد ده ويعجبنى ونأخد المشاوير دي كلها ويحصل كل ده

- لو عاوزة تعرفى مكنش في أى فرصة وأنا وبأديكى الورد الصبح مأفكرتش في كل ده كل اللى فكرت فيه أنه يطيب بخاطرك زى ما طيب بخاطرى

- هو والله طيب بخاطرى جدًّا تصدق أنا لسه لحد دلوقتِ مأقولتلكش شكرا عالورد خالص ولا شكرتك عليه

- ايه كان المفروض تكتبيلى جواب شكر مثلا ؟؟

- طب تصدق والله فكرة جامدة جدًّا ...أنا هأكتبلك جواب شكر فعلا على الورد ده

- أنتِ ما بتصدقى تلزقى في الكلمة يعنى ؟؟ جواب ايه يبنتى عادى مش

مستاهلة يعنى ..

- لا لا عشان خاطرى هأكتبلك الجواب وتمشى علطول مش هتتأخر ولا حاجة

- ماشى طلباتك أوامر أنا موافق

- أنت عمرك جالك جواب من حد قبل كده ؟؟

- أه عادى أنا وريم كنا بنكتب جوابات لبعض بس طلعت علياء زى ما قولتلك هى اللى بتكتب الجوابات بس حرقتها كلها خلاص وحرقت كروت عيد الحب وحرقت المحفظة اللى جابتهالى حتى المصحف شحته لواحد صاحبى

- طب وأنا ؟؟ هأتعمل ايه في الجواب بتاعى ؟ هأتحرقه ؟

- ممم بس أنتِ مش زى ريم مأعرفش ممكن مأحرقوش

- لا والله تعبت نفسك ايه رأيك زى ما هأكتبلك جواب هأتكتبلى جواب أنت كمان ..

- بس أنتِ مأجبتليش ورد ولا حاجة

- بس كده بسيطة خد يسيدى كام وردة أهئ وأكتبلى بيهم جواب بسيطة

عادى

- ههه بس دول يدوبك يعملوا تلغراف مش أكتر

- أخلص بقى بطل لكاعة ...

- طيب براحة هأكتبلك الجواب على قفاكى يعنى أكتبه فين ؟

- و هو لو على قفايا أصلا هأينفع إزاى ما كده مش هأينفع أشوفه يا فالح أنت

- آه عندك حق فعلا ... هأكتبهولك على قورتك دي عشان تشوفيه لما تبصى في المراية لا برافو

- يووه خد أكتبلى هنا عالورق ده .. بس معيش قلم تعالى هأندور على مكتبة قريبة خليك تروح بيتك

- ماشى متهيألى اتلمحت في مكتبة قريبة هنا الشارع اللى ورانا ده كانت جنب بتاع اللبس

- يلا بينا ؟ أنا أتحمست جدًّا للجواب ده أووى

- خدت بالى صوتك باين عليه ربنا يستر

- يعمر وهو جواب رفد ... هأيبقى جواب حلو جدًّا صدقنى

ذهبنا لنبتاع القلم لنكتب به وبدأنا الكتابة تمنعت أن يجلس بجانبى وبدأت أفكر ما اللذى سوف أكتبه له لا أدرى توقف القلم عن التفكير معى وأختلس النظر له هو يكتب ويكتب وأنا لا أقدر أعبر عما بداخلى قفزت من مكانى مسرعا وخطفت الورقة منه لأنظر ما كتب

«عزيزتى مجهولة الأسم والهوية والسن سأدعوكى العنصر اكساً لما أجهله عنك ولكن لكل اكس معادلة تعريفية تحل لغزها

و تبدين لى كومة من المعادلات ملئية بالمتغيرات الكثيرة أرغب بشدة أن أدركها وأعرفها «

أستغرب ما اراده وما اقرأه في رسالته ولكن لماذا طلب أن يبقى مجرد ذكرى لا أكثر ؟؟ نظرت له في امتنان شديد لما قد كتبه عن شخصى وسألنى عما كتبته أرجعت له الورقة فارغة بخيبة أمل وأنا اعتذر منه

- آسفة معرفتش أركز أكتب ايه

بدت عليه كل خيبات الأمل وهو يقوم ويمشى مبتعدا قائلا

- يلا مش مهم كان ممكن أحرقه كفاية معاكِ الجواب بتاعى سلامام

أرعبتنى كلماته بدأ بالسير مبتعدا عنى وتجمد كل أعضائى بى للحظات لم أقوى على السير ألحق به أو حتى أصرخ عليه وقفت أبكى بشدة ولم أتمكن

من كبح شلالات دموعى لا أريده أن يتركنى هكذا مرت دقيقة أو أقل حتى اختفى عن نظرى تماما لم أعرف ماذا أفعل حتى أنا لا أعلم أين أنا ؟؟ أخذت أفكر فيما أفعل وتذكرت أن اتصل بوالدتى ولكن مرضها لعلها تأتى هى إلى بنفسها تذكرت كلامه معى وأتصلت بوالدى على الفور وأنى أبكى وحاول أبى أن يطمئنى كثيرا وأقسم لى أنه آت لى في الطريق وبدأت بذكر المحلات حولى ولم ينجده ذلك حتى عرفت أسم الشارع وأغلق المكالمة معى أنه لن يتأخر كثيرا حينها وجدته

أمامى من جديد وأنا على وشك الانفجار به

- حقك تكرهينى وتبقى ذكرى مطينة بس خلينى أوصلك وحياة أغلى حاجة عندك ومش هقول ولا حرف والله بس معرفش سيبتك إزاى كده في الشارع

خرجت كلماته تبارز مشاعرى نحوه وأختلط علي الأمر لم أقوى على الغضب حتى كنت منهارة تماما أريد الصراخ عليه وصب غضبى عليه ولا أقدر ..... مسحت يداه دموعى و هدأتُ لما ظهر مجددا بدأ الخوف يتسرب منى بعيدا وهو لا يتوقف عن الاعتذار المتواصل ولوم نفسه بشدة ويوعدنى أنه لن يتركنى ألا عند منزلى أجبته

- خلاص بابا جاى في السكة هيأخدنى متتعبش نفسك أنما انت مجاش في

بالك أنى مش عارفة أكتب خايفة أعبرلك عن اللى جوايا أنا عاوزاك تبقى معايا متمشيش وخوفت يبقى جواك غير كده عشان كده شوفت جوابك الأول وأنا بسأل نفسى هأشوفك تانى ؟؟ لما مشيت اترعبت والله

- مممم خلاص ما أنا رجعت اهؤ ... حقك عليا

- هأشوفك تانى ؟؟

- مش عارف أجابة معرفش معرفش ... أنا مليش مستقبل وبكره بتاعى ضلمة مفيهوش ملامح وظروفى صعبة جدًّا

- طب لما الظروف تتعدل معاك هتلاقينى

- سنتين مش أقل من كده

- مم هأستنى ...

ظهرت لى سيارة والدى وهو يبطأ من سيره ويبحث عنى بخوف حقيقى أحتفظت بجوابه داخل حقيبتى وأنا أخبره أول جمعة في الشهر بعد سنتين من دلوقتِ كل ٢٣ شهر هنتقابل في نفس المكان ولو مجتش هفضل استناك واجيلك لحد ما أموت

- آمين وهو كذلك مش هشوف غيرك

- ولا أنا كمان

تركته وركضت تجاه أبى اللذى لم يركن سيارته حتى و وقف ليضمنى لحضنه بقوة وأخذنى معه في سيارته

*****

«عودة بالأحداث ليونيو ٢٠١٢ »

لما مرت بى الحياة إلى اليوم وسط كل أمواج الدم التى مررت بها نجوت كنت هناك حيث راحوا يتساقطون اتذكر من مات بين ذراعى وهناك من حملت جثته وسرت به لم أعد أفكر بشئ غير هولاء حياتى مربوطة بتلك الذكريات المرة تطاردنى صرخاتهم ليلا وتلاحقنى نظراتهم نهارا كنت أعيش حياة عبثية خالية من أى سلام داخلى تمر بى كل التقلبات المزاجية وأنا أوكد لنفسى أنه مقدرا لى ان احيا لليوم لعلى أتمكن من لقائها مرة أخرى

الأوضاع متقلبة طوال الوقت ولم تعرف البلاد طريقا للاستقرار طوال الشهور الماضية ولا أنا من آخر مرة رأيتها بها ولا زلت متقلب أبحث عنها مثل أسد يبحث عن فريسته الأخيرة هى آخر مركب للنجاة هى آخر ضوء عرفه نهارى قبل كل تلك الليالى السوداء واليوم هو موعد اللقاء كما زعمنا ... الساعة الثامنة صباحا لا يزال الوقت مبكرا جدًّا للنزول لكنى متحمس للغاية أرغب أن اطير حتى لهناك لم انم كثيرا منذ البارحة وبالى كله مشغول بها وبما سوف يحمله اليوم من أحداث ومن لقاء أقرب للخيال في حدوثه قطع كل هذا صوت

هاتفى يرن عاليا حيث صديقى عمرو يتصل بى وأنا اخشى اتصالاته كلها لم ارد وأغلقت هاتفى بعدها وبدأت استعد للذهاب لا مفر من الانتظار والتوتر والتفكير الزائد حتى وجدت عمرو يركن سيارته أسفل البناية التى اسكن بها بينما أتناول كوبى من الشاى وأنا أصيح به

- ايه اللى جابك النهاردة ؟؟ ما أنا قولتلك رووح في طريقك مش هجى معاك

استمر في اغلاق السيارة والتأكد من فعالية جهاز الانذار الملحق بها السرقات منتشرة طوال الوقت وهو يرد

- رووح أنت بس حضرلنا الفطار هروح اشترى حاجات من الكشك وجاى لك علطول ... اخلص

تنهدت في عصبية شديدة منه لكنى دلفت للداخل وأعددت طبق فول هو أسرع شيء حتى اتخلص منه والحق بميعادى المنتظر تأخر قليلا في المجئ فذ هبت انتظره في الشرفة حتى عاد محملا بالكثير من الحقائب من عصائر ومعلبات ومياه غازية وصعد لى لأعلى قائلا

- ياريت تبقى لحقت تحضر الفطار عشان ملحقتش افطر في بيتنا وجايلك جعان مووت

- اتفضل يسيدى ثوانى وطبق الفول يبقا جاهز بألف هنا وشفا

جلس على الطاولة التى اعتدنا تناول الطعام عليها سويا

- بسرعة بقى كده تلبس وتجهز عشان الحق اروح معاك مشوارك .... أنا مش مصدق ولا أى حرف من كلامك بس جاى اوصلك مخصوص

فرحت من كلامه وذهبت لأرتدى ملابسى في حماس شديد للغاية حتى انتهيت قبل أن ينهى فطوره ونزلت لأسفل أقوم بمسح سيارته كما اعتدنا بعد أن سحبت منه مفاتيحها وأنفضها من الداخل وما إلى شابه ونزل هو حاملا حقائبه وقال

- يلا بينا نمشى ... مش قدامى حاجة غير أنى أوصلك

ركبنا السيارة وأدارمحركها وبدأ ينطلق بها وأنا أجيبه

- أنا عارف أنك مش مصدقنى بس ولله حقيقة رغم أنى مقولتكش التفاصيل كلها لسه ... بس كلى أمل وحماس وتوتر وحاسس بقلبى بيدق جامد كده

- أهدا يعمر امسك نفسك بس معنديش وقت يجرالك حاجة قبل ما نوصل مش هدورلك على مستشفى أنا مليش خلق ليك ياد

- طب شهل شوية بس عشان نوصل النهاردة

- لا مش عاجبك انزل خدلك تاكسى يا عسل دي اوامر خطيبتى الجديدة أسوق علطول على مهلى .. وحتى لو هى مش معانا لو عاجبك يعنى

- أه صح فكرتنى بحوار خطيبتك ده ... معاد فرحك هتعمله امتا ؟؟ أنا حاسس أنك خاطب من بدرى يعنى

- أديك شايف الظروف عاملة إزاى هعمل ايه يعنى أهلها طلباتهم كتير وأنا ماشى واحدة واحدة على قدى عدت سنة ونص وربنا يسهل

- تعرف ياد يا عمرو أنت واد جدع والله ولو مش عاجبهم يغوروا في داهية هما هيلاقوا أحلى منك فين يعنى

- يا واد أنت يا بكاش عشان راكب عربيتى بتقول كده مش أكتر

- ما تبيعها ايه المشكلة ؟؟

نظر للجهة المقابلة من الطريق وهو يفكر لم أعطه وقتا للصمت حتى ونكزته في جنبه

- الكلام مش بالسهل يا عم أنا بقالى سبع سنين بسوق وبقا صعب عليا اسيبها كده واتعودت عليها وبعدين هتجيبلها كام مش مبلغ بردو ونافعة شغلنا ومصالحنا وبتنفعنا بردو

- أنت أدرى بمصلحتك ربنا يفتحلك كل الأبواب الصعبة يا سيدى هانت

مصيرها تتدبر في يوم من الأيااام أكيد

- المهم هسيبك فين ؟؟ عشان تلحق مشوارك ده أحنا داخلين على روكسى خلاص

- أقولك سيبنى عند إشارة روكسى وأنا هكمل طريقى من هنا

- طب حيث كده بقى يلا انزل هنا والإشارة قافلة ... انجز بس

- ماشى يعم متشكرين على التوصيلة العسل دي ...

أنا هنا لقد وصلت على وعد طائش من العشوائية أرغب أن تحدث الصدفة تتحقق المعجزة تدور دائرة الزمن في صالحى تلك المرة المهم أنى هنا كل ما أفكر فيه أنى سأكمل حياتى مطمئناً أنى لن اتسائل مجددا عن ماذا لو لم أت هنا وهى أتت

دخلت لمحطة مترو سراى القبة وعيناى تحاول فحص المكان ذهابا وإيابا أبذل مجهودا في كل وجه فتاة أراها تسير أو تدخل للمحطة أو تخرج منها ملامحها لا تبدو واضحة في ذاكرتى تفاصيل وجهها وجمالها كانت تزورنى في أحلامى لا أكثر من هذا لكنى واثق انى سوف اتعرف عليها أو هى ستتعرف علي ... هل ستأتى من الأساس .. مرت ساعة كاملة ولم أعرف حتى هل هى هنا من عدمه

المحطة هادئة ليس بها أى تزاحم على الإطلاق لا احد ينتظر أكثر من دقيقتين أو ثلاثة حتى ومن بعدا يذهب في طريقه كنت بدأت أظنها لن تأتى أو ترجع لى مجددا وأن كل أحلامى مرت من هنا للسراب ...

*****

« مستنياك يا روحى بشوق كل العشاق

مستنياك تعبت تعبت من الأشواق

مستنياك وأنا دايبة يا عينى من الفراق

لـــــ عزيزة جلال

«الليلادى سيبنى أقول وأحب فيك .... وانسى كل الدنيا دي وغمض عينيك »

لم أكن أبدا من صاحبات الصوت العذب كنت تلك الهوجاء صاحبة الصوت النشاذ لكنى أكمل غنائى بكل ثقة على الرغم من ذلك تعلمت ذلك منه الثقة بالنفس دائما وأبدا ... اليوم مختلف في كل شيء لم أنم سوى بضعة ساعات قليلة أصابنى الأرق أول الليل وفجرا عكس باقى الأيام أنام لفترات طويلة من الإرهاق المتواصل والعمل لكنى ظللت مستيقظة من الفجر وحتى اللحظة تقارب العاشرة صباحا اليوم أشعر أنى محبوبة وأنى جميلة عكس كل مرة شعرت بها بذلك تدب بداخلى طاقة لا أدرى ما هى وحماس لا أقوى على كبحه نسيت كم هو عمرى رجعت مثل فتاة في سن المراهقة أو طفلة في لبس يوم العيد تطل بفستانها وسط أشلاء بشر من الأبيض والاسود وأكثر من هذا

خمس رسومات له معلقة على جدار حائطى تزين مخيلاتى كل ليلة منذ أن انتقلت هنا في شقتى التى أريتها له منذ سنتين الغرفة الداخلية هى لى وباقى الشقة تحتوى على مرسمى الخاص بى رسمته بالألوان ورسمته وهو يبكى وهو يضحك لا احد يصدق أنى رسمتها غيبا دون أن يكون ماثل أمام عيناى وانى احتفظ بكل ملامح وجهه في عقلى لكنها الحقيقة لم أراه منذ

ذلك اليوم الآن ارتدي فستانى الخاص ذو الورود الكثيرة مثل آخر مرة اتعطر على غير عادتى وهناك من الزينة ما يجعلنى مختلفة عن كل يوم حتى اطلالة الصباح كانت ساحرة أنغام الملائكة تصل إلى مسامعى الآن ألحان من الحب والحنان تغمرنى ولما لا اليوم هو اليوم الموعود انتظره منذ سبعمئة يوم ويوم ها قد أتى أخيرا

هاتفى مغلق لا أريد أى مكالمات تعكر مزاجى أو اخبار سيئة كعادة تلك الأيام المضطربة والأحداث المتقلبة أحاول جاهدة تذكر صوته كيف كان .. أتخيل كيف سيكون لقائنا ... ماذا الذى سوف أقوله له كيف سأخبره عن مشاعرى له ... كيف اسكت مر الكثير من الوقت .... الحماسة تأخذنى كثيرا للكثير من الأفكار .... انا لا اسمع لصوته بل صمته التام طوال تلك الفترة الطويلة , هل حقا تتحقق الأمنيات هل تحدث أشياء جميلة في تلك الحياة هل يوجد سكر بعد قادر على تحلية مر الأيام من حولنا هل تتغير ملامحنا ويرى الناس بعيوننا شعاع من النور هل تتوقف عقارب الساعة تخفق قلوبنا بكثرة أكثر من المعتاد لربما

ربما حين أنزل الآن يكون هو هناك بالفعل أو يرتدى ملابسه أو ينتظرنى بفارغ الصبر هل يبحث عنى لن أترك مجالا للأفكار الخبيثة ذات الطابع الشرير أن تزورنى أبدا أنى اتمنى اللقاء به أكثر من أى شيء آخر أردته في حياتى كلها الوقت يمر ببطء شديد تبدو لى سكة سفر طويلة من هنا وحتى

المكان الذى أقصده أشعر أن لى عمرا كاملا أسير على قدماى الذكريات تتدفق كلما سرت خطوة تجاه محطة المترو ....

- و أنا كمان فنانة صدرت منى في حماسة طفولية للغاية ورفعت يدى عاليا بسرعة لأظهر أصابعى له ..... تركت الأمر يحدث عشوائيا كل مرة وكل مرة كان يصاحب تلامسنا بالأيدى دقة لقلبى مختلفة عن غيرها تماما صرت أتعمد الأمر وأنا أتطلع لدقة قلبى القادمة أى دقة ستكون ..... رجعت لفارسى الجميل كان يكتب باهتمام شديد أمام لوحاتى فتركته ينهى الأمر ووقفت أتطلع له في عجب مما يفعله أنه لا يلتفت حتى وينتقل من لوحة لأخرى ويستمر بالكتابة وقفت مستندة على الحائط وتركت أصابعى تلعب بأطراف شعرى في أحساس رائع ..... يجلس أمامى وله صوته ورأيته كتاب عملاق بحق اتقلب بين صفحاته في سهولة وبساطة كان أكثر من مجرد عامل نقاشة بكثير مثقف طموح حكيم مرح نعم أرغب وبشدة في المزيد

عجيبة هى طريقة تذكرنا للأحداث التى مرت علينا قبلا لا أملك تفسيرا واحدا لعمل الذاكرة لكنها تتذكر الكثير من أحداث ذلك اليوم حتى حين دخلت المحطة ودفعت لأحصل على تذكرتى تسرب لأنفى رائحة الورد الذى كنت أحمله في ذلك اليوم لا أعرف هل أبحث عنه بعيناى أم بقلبى أيهما سوف يعثر عليه أولاً هل هو موجود حتى ؟؟ أم أنى اتوهم كل تلك الأحداث في ظلام ما بين الحقيقة والوهم هل كان حلما وانا هنا أركض خلف السراب

لا أكثر لم يصدقنى أحد سوى أبى وهو الذى دفعنى لانتظاره وشجعنى على الانتظار حتى أنه رفض طارق حين تقدم لى منذ سنة تقريبا أو أكثر .

أنه هنا ... أنه حقا هو أراه بعيناى يقف متلفتا في المارة يبحث عنى ولا يرانى من خلف العمود لا أدرى لما أقف مختئبة منه نعم هو تغير قليلا عما كان في المرة السابقة شعره مهندم يرتدى بكل أناقة تلك المرة يحتفظ بسماره الجميل وأراه نعم أراه قلبى يخفق بقوة شديدة أجد صعوبة في التنفس بطريقة طبيعية أختبئ اكثر في العمود على الجهة المقابلة أهرب منه على الرغم من شوقى له أقف زهوا بنفسى وبانتصارى الذى حققته أنه ذلك النوع من تلك الانتصارات التى لا تخبر عنها أحدا ولن يقدرها أحدا غيرك التى لا يصدقها أحدا سواك تلك الانتصارات التى تحدث جلبة في قلبك أنت وحدك ولا تغادر مخيلتك و.....

- بست ... بست

أنا أعرف ذلك الصوت جيدا أعرفه تمام المعرفة لقد اشتقت له جدًّا لم امنع شفتاى من تلك الابتسامة ولا من ملامح وجهى أن ترقص فرحا لكن توقف لسانى عن الكلام لقد كنت أفكر طوال الوقت في لحظة اللقاء وهل سوف تحدث أم لا ؟ كنت أفكر ماذا افعل لو لم يظهر لقد بحثت عنه مطولا ووصلت لمكان عمله منذ شهران فقط تطلب منى الأمر حوالى أكثر من سنة ونصف بحث متواصل وكرست حياتى للحصول عليه لكنى تمنعت

عن ذلك لربما هو لا يرغب بى من الأساس ولكنه الآن هنا انى صامتة ولم اعرف طريقا لكى أرد عليه

- هيى أنتِ هنا ؟؟ بتتكلمى مش كده

و بدأ يشوح بعيناه أمام ناظرى ليتأكد أنى أراه بدأ يشير لى بيده عن أنه سعيد بقدومى هنا وإشارات غريبة وعيناه تريد اختراق عيناى أو ما شابه لكنى لا أرد عليه ثم بدأت استجمع قواى ان أجيبه بمجهود حقيقى رهيب

- أنت وحشتنى اووى

كان كمن لم يرى تلك الجملة القادمة أو لم يتوقعها لكنها الحقيقة

خرجت منى بكل عفوية صادقة واحساس نابع من داخلى كنت منتبهة جدًّا بداخلى إلى امكانية لقاءه لا أكثر لم ارتب حديثا لما بعد ذلك لا أعرف ماهية شعوره لقد بادرت الخطوة مسبقة للغاية لكن تبدو لى من ابتسامته العذباء أنها راقت له وأجابنى

- اختصرتى عليا كلام كتير أووى وافكار كتيرة أووووى وحواجز كانت محطوطة وهموم كنت شايلها وتوتر كان راكبنى مش قادر أقاومه وندم كبير أنى استنيت كل ده

لم أقوى على مواجهته بعد هذا وسرت لأقرب مقعد أجلس عليه وأنا

أعاتب نفسى بشدة كيف سمحت لنفسى بأن اعبر عن شوق له لكنه بكل ثقة مد يده وأمسك يدى وسحبنى معه لخارج المحطة

- أنا عرفت اسمك تعرفى ده ؟؟

نظرت له كما يقولون من أسفل لأعلى وبنظرات تملؤها الشك فيما يقوله لى لكنه على الفور أخرج من جيبه نسخ مطبوعة لوصلات تسليم من مرسمى تحمل أسمى وتوقيعى بتواريخ حديثة وقديمة بعض الشئ وقبل أن يفتح فاه أشرت له بالصمت وأخرجت من حقيبة يدى كروت خاصة بالمكتب الذى يعمل به تقريبا تحمل اسم صديقه عمرو ورقم هاتف الشركة بالطبع وفى خلف الكارت اسمه

لم يقوى أحدنا على النطق بكلمة حتى رحنا ننظر لبعضنا في استغراب شديد وتعجب مما قد فعلناه وبالطبع هناك سؤالاً واحداً يطرح نفسه بشدة في ذلك الموقف

- ليه استنيت كل ده بجد حراام ؟؟ كنت تعرفنى وتعرف المرسم بتاعى وكمان شركتك بتطلبنى اوردات ومتكلمتش

- طب ما أنتِ عرفتى توصليلى يعنى وطلعتى المحقق كونان وساكتة يسلام ؟؟

ضحكنا قليلا قبل أن اقول له

- طب قولى أنت عرفتنى منين ؟؟

بدأ يهز رأسه زهوا بنفسه متبخطرا كالطاووس وكأنه توصل لحل لغز لم يصل له أحد غيره وقال

- في الأول كنت براقب معارض الرسم وبدور عليكى وسط الفنانين وسط الفرشة والأقلام والألوان وموصلتش لأى حاجة لحد ما بدأت اروح كتير للمكان اللى أنتِ ورتهولى لحد ما شوفت اليافطة اتعلقت من بره مكنش عندى شك أن ده أنتِ هيبقى أنتِ

- ممم لا برافو أنا بقى هقولك عملت ايه دورت في كل شركات التشطيبات الكبيرة والمقاولات ومكاتب الديكور وغيرها يعنى بص لو قولتلك حوالى ميت مكان تقريبا كنت هتجنن هتجنن عالآخر بعد أقل من سنة وصلت لمدام هيام اللى حكيتلى عنها بالصدفة لما بدأت أنا في شغلى وسألتها عنك وافتكرتك علطول وقعدت تشكر فيك جامد على فكرة وسألتها على سجل الشركة وقابلت الست اللى اديتك بوكيه الورد كنت متأكدة أنك هتتصل بيها وفعلا دلتنى لأبن أخوها عمرو اللى منه وصلنى ليك

هنا عجزت الكلمات عن وصف ما نشعر به أو ما قمنا به للتو لم أدرك كم من الوقت التزمنا الصمت شعور أنى كنت أبحث عن شخص هو أيضًا

يبحث عنى أنه اختار انتظار اليوم كما عهدنا بكل صبر كان يتعذب مثلى كنت اعرف أين يعمل وكل يوم أقاوم الذهاب لهناك والانتظار لقد مر بالمثل كان يرفض أن يأتى وينتظر وينتظر ... لكن الأمر كان يستحق العناء بكل تأكيد

- في أسئلة كتيرة أووى نفسى اسألهالك في الفترة اللى عدت دي

- متقلقش عارفة هتسألنى ايه بالظبط !!

- طب ما تجاوبينى بقى يا فالحة ما أنتِ عارفة

- آه هجاوبك بس لما تجاوب أنت الأول يا سيدى

- ههه لا أزاى السيدات أولا

- خلاص اعتبرنى أنا اللى سألتك الأول وهتجاوبنى أنت

ضحك بقوة فعلا منى وهو يقول

- من أمتا الشطارة والنصاحة دي يا عيوطة

- لا ده كان زمان على فكرة بص وشوف بتكلم مين دلوقتِ

- خلاص هقولك أنا مفكرتش أقابل حد غيرك ... طول الفترة دي مستنى اليوم ده اووى أووووى

- ولا أنا حتى اللى اتقدملى ده بابا رفضه وقاللى هنستناك لأنك جاى وكان بيصبرنى عليك

- بابا ؟؟ الموضوع بقى فيه بابا دلوقتِ ؟؟ بجد

- طبعا بابا أقولك ايه بس أنا وبابا بقينا حاجة تانية خالص تصدق انه هو منتظر منى مكالمة اطمنه عليا ويسألنى عملت ايه

- طب ما تكلميه يلا ... مستنية ايه ؟؟ ايه البرود ده

- ههه مش بالسهل كده طب أطمنه أقوله ايه بس ... مش لما اتطمن أنا الأول منك عشان أعرف أطمنه عليا ؟؟

- و أنتِ ايه هيطمنك ؟؟ يعنى مش فاهم

- أنت هتستهبل يلا ؟؟

- هههههه يعنى هى عينى مثلا مقالتلكيش حاجة ؟؟ مثلا يعنى

- يووه ودنى عاوز تسمع هى كمان هسمع ودانك أزاى يعنى ؟؟

- مش عارف أقولك ايه ما أنتِ عارفة وأنا عارف واحنا الاتنين عارفين أننا عارفين ف خلاص بقى عديها يعنى

- ماشى هعديها ... هنعمل ايه دلوقتِ ؟؟

- ما تيجى أخد أمى واروح ازور أبوكى ونخلص بقى

- ايه اللى بتقوله ده لا طبعا اسكت مش كده لازم نصبر ونتفق ونشوف بعض ونعرف بعض أكتر ونأخد وقتنا ويبقى في هدوء وبطء في الموضوع وكده أنت مستعجل جدًّا

- آه ايوه عندك حق فعلا ما نصبر بقى براحتنا هنستعجل على ايه ؟

- أنت ما صدقت بقى ولا ايه ؟؟

- كل واحد جاى انهاردة وهو مخلص الصبر اللى جواه مش كده تفتكرى هنصبر تانى ايه ؟؟ ما احنا صبرنا كتير

- أقنعتنى تعالى نروح نتغدا سوا ونطلع على بابا هيفرح بيك أووى صدقنى أحنا اتغيرنا جدًّا وبقا حبيبى حبيبى أووووى يعنى

- هنروح فين ؟؟

- نفس المطعم ايه رأيك ؟؟

- يااااه تفتكرى لسه قاعد ؟؟ أنا مروحتش هناك من فترة كبيرة

- أيوه أنا متأكدة أنا لسه كنت هناك من أسبوع كده تقريبا أو أكتر كنت مفتقداك اووووى روحت هناك وقعدت افتكر كنت عامل ازاى؟

- و كنت عامل أزاى يعنى ....

- كنتى بتونسنى وأنا وحدانية كنتى بتسندنى وأنا ضعيفة كنت معايا كده وحاسة بحاجة منك حواليا

- لا متعشميش نفسك أووى كده لما تقوليلى كلام حلو هعرف أقولك كلام حلو زيه ومتذوق كده

- متقلقش كفاية أحساسى بيك كده ويلا بينا بقى .

أخرج هاتفه النقال من جيب بنطاله وراح يتصل بأحد عرفت فيما بعد أنه عمرو صديقنا المشترك فيما بيننا ليقلنا معه بسيارته

******

نظرت لى بغيظ قليلا دون سبب ونحن ننتظر عمرو ليقلنا معه بسيارته وأنا لا أفهم ما المشكلة في ذلك بالظبط لكنى تمنعت عن سؤالها خوفا أن تنفجر غضبا بى على أى حال لم يتأخر عمرو في القدوم لنا وأقلنا معه إلى المطعم

- على فكرة مكنش له لزووم تتصل بيه كده

- يستى وفيها ايه هو اشتكالك ؟؟

سحبت كرسى للخارج وجلسنا سويا وهى ترد على

- يعنى قول لصاحبك يتفضل عشان مش عاوزة أوريك جنانى من دلوقتِ بعد أذنك

- يبنتى هو جه جنبك ؟؟ ده راح يركن وجاى

- يأخى أفهم بقى عاوزين نقعد لوحدنا شوية افهم

- طيب حاضر حااضر

ذهبت وأنا في قمة حرجى عما سوف أقوله له وأنا أيضًا أرغب أن ألبى رغبتها ولعلها محقة من الأفضل أن نحظى بوقت خاص بنا في بدء الأمر وعندما

رأنى عمرو قال لى

- جاية تقولك مشينى مش كده ؟؟

- ههه يعنى مش بالظبط

- عمرك ما عرفت تكدب ولا تخبى حاجة ... عينك فاضحاك زيادة عن اللزوم باين في عينيك

- لا يا عمرو يعنى ...

- يا رجل يا بكاش ده أنت مش عارف تخبى فرحتك أنى خالع اتلم شوية بقى أنا حفظتك خلاص سلام يا سيدى

ودعته ودخلت إلى المطعم حيث تجلس هى في انتظارى وجلست الحكاوى ثالثنا تقريبا كانت تخبرنى بكثير من الأشياء حول ما فعلته بعد أن التقينا وأجبتها

- أنا متأكد انى صاحى مش بحلم لكنى مش متأكد أنى واعى لكلامك كل ده اتغير عشان اليوم ده بس ؟ معقول ابقا فارق في حياة حد للدرجة دي ؟؟ مش متخيل أنا عادى أووى أنا عاادى بجد زى اللى ماشيين هناك عالرصيف زى أى حد قاعد معانا هنا في المطعم كلامك أكبر منى أووى اووى كل دي تفاصيل شايلاهالى جواكى

- و أنت ؟؟ شايل ايه جواك يخصنى ....

- ورقة فاضية فاكرة الورقة الفاضية اللى سبتهالى معايا لحد دلوقتِ محتفظ بيها مرمتهاش كل ما بحس أنى مشتاقلك ببص أبصلها بقولها أنتِ حقيقة ولا خيال أوقات جت كنت حاسس أنى مستنى الوهم والهوا وخلاص معرفش حياتى من غيرك كانت هتبقى ايه كنت عايش جدًّا عشان اليوم ده واللحظة دي والكلام ده أنا

- طب يلا نأكل أنا طلبتنا الأكل وهو جاى هناك اهو ..

لم تكن الوجبات غريبة علىّ شعرت أنها نفس الوجبات كالمرة الفائتة حتى سألتها

- معقولة فاكرة أكلنا ايه ساعتها أنا حاسس أنه نفس الأكل مش كده ؟

- أنا فاكرة كل حاجة أكتر ما أنت متخيل أنا راسماك عندى أكتر من مرة بتفاصيل وشك كاملة ومن كذا كادر مختلف كنت حافظة وشك جدًّا بكل ملامحك فاكرة غنيت ايه وأحنا قاعدين هنا فاكرة اتكلمنا عن نادى ايه وأنك بجد أحلى بتاع فرشة شوفته في حياتى

بدأنا الأكل سويا ونحن نتطلع إلى بعضنا الآخر وكأنها أول مرة نرى فيها نفسنا ولكنها تبدو فعلا أول مرة نطل بها على أرواحنا كانت جميلة للغاية

بأكلها البطئ نوعا ما وابتسامتها الهادئة وشعرت بما يشعر به الناس طوال الوقت لم أسيطر على نفسى يدى أمسكت يدها في غمرة المشاعر منى لكنى أفقت على صوت ضربتها لى على يدى في قوة وهى تضحك

- بس أهدا ها خلينى أكلم بابا حلو عليك ولا أنت شايف ايه ؟؟؟

- آه طبعا طبعا سعادتك أحنا آسفين وشكرا لكرم معاليكى

بلهجة كرتونية مصطنعة نجحت في إغاظتها وهى تنظر للجهة الآخرى وتوقفت عن الأكل لبرهة قبل أن تضيف

- سديت نفسى عن الأكل خلاص

سحبت الطبق لى وأنا أقول لها احسن بردو أنا نفسى مفتوحة دلوقتِ وعاوز أكل أكتر

مدت يدها تتناول طبقى في خفة قائلة

- طب ألف هنا وشفا هات هكملك أكلك عنك

ضحكنا مما نفعله في طفولية وأكملنا وجباتنا قبل أن نقوم معا لنذهب لأبيها

« عودة بالأحداث إلى مارس ٢٠١٨ »

لم تعطنى الحياة تلك النهاية السعيدة في آخر الأمر نعم حظيت ببعض الأوقات الجيدة بالنسبة لحياة الكثيرين ممن حولى ومن بعدها انقطعت كل خيوط النور من حولنا أعرف اليوم وأدرك ما هو ولكننى خشيت المواجهة أكثر من شوق لرؤيتها

لقد تغيرنا هذا ما أستطيع أن أبرر به لنفسى ما وصلنا له من انفصال مؤقت بعد عدة خلافات لنا سويا ... صحيح أننا لم نتطلق بعد لكنه آت أراه بكل وضوح لم أعد أرى فرصة مجددا في أن تكون حياة معا انتظرت طوال اليوم جوار الهاتف انتظرت اتصالها وتوبيخها الشديد لى لأننى لم أنزل للقاء الموعود كما هو متفق عليه طوال السنوات التى مضت تمر الساعة تلو الأخرى لكن دون جدوى لم استطع حمل نفسى على النزول .

أجلس خائفا تائها لا أعرف كيف أصلح تلك العلاقة التى ذهبت ولم ترجع كسابق كعهدها الأمر أنه لم يحدث شيئاً يُذكر تدهورت الأوضاع رويدا رويدا مر بنا يوم سئ فأتى آخرا أكثر سوءً حدثت مشاجرة بسيطة ثم أتت الأكبر م هكذا من خلاف سهل لخلاف أكثر تعقيدا ومن هنا لم يعد مرور

الوقت هو صديقنا المفضل بمرور الوقت يظل الأمر أكثر وحشية .

اتفقنا على الانفصال المؤقت في تلك الفترة حرصا على الأطفال ونفسياتهم من التعرض لتلك المواقف والانفعالات الصعبة أذهب لأقلهم معى الخميس صباحا ويرجعون معى السبت مساءا ولا يكفون على الأسئلة ولا أملك لهم أى إجابات وكم تمنيت لو حظيت بإجابة ترضى فكرى وهى هل تفكر في هذا أيضًا ؟؟ أم تعتبر الزواج بيننا كانت مجرد غلطة غير مقصودة كما تقول ... أننا مجرد قصة حب نموذجية ... وأن كنا قصة حب ما غرض هذا الحب من الأساس إذا !! هل هذا هو الحب أم أننا قصة فاشلة ولا أكثر من هذا ؟

لا تبدو لى الحياة حلوة من بعد ما تذوقت مرار القرب منها لقد اشتاقت لها بأى شكل تظهر عليه حتى المر منها كان له مذاقه من الحلاوة أكثر من هذا أريد تجميع قوتى أعرف ما هو الصائب لنا وأقوم به ليخبرنى أحدهم ما يبهرها فيما بعد وسوف أفعله أنا فقط لا أعرف ما العمل أقف عاجزا أمام أى موقف ذهنى يرفض التفكير بشكل سليم والقيام بما لازم لكى أعبر بنا تلك المرحلة السوداء من حياتنا معا أنا الرجل لذا تقع المسئولية علىّ أليس كذلك ؟؟ لكن لما لا اشعر أنها تريد لنا عودة لا أرى ذلك في أى شيء يبدو أنه راق لها الوضع أن نعيش مفترقان عن بعضنا البعض هل هى مرحلة أم ان الحياة تحمل لنا مفترق بلا عودة وسوف تأخذ كل الأوقات الجميلة

التى قضيناها سويا لتردها لنا أضعاف مضاعفة من السواد والقسوة والحزن .. فقط لا أملك أى أجوبة على أى شيء

أقاوم الاستسلام للنوم لم أنم منذ البارحة يتبقى لليوم بضعة ساعات ولا أريد تفويتها لا أعرف ماذا انتظر بالظبط وما فائدة الانتظار أريد منها أن تتصل أريد ان تنفجر بى أن تصب غضبها علّى ترمينى بكل سهام غضبها أريد أن تضربنى حتى أن توبخنى أننى لم آت وظلت تنتظرنى بالساعات أى كانت النتيجة سأتحملها لكن ذلك يبلغنى أنها لا زالت تهتم على الأقل وأننا نحاول سويا معا

*****

«عودة لفبراير عام ٢٠٢٠ »

تركت حبيب يأخذ غفوة بجوارها في مقعد السيارة تفتح الحقيبة الخاصة بها تشرب بعض العصير مما جلبته معها تستمع إلى محطات الراديو تبدو كل أحاديثهم مملة للغاية يستمر بحثها حتى وجدت محطة إذاعية تذيع أغانى عفا عنها الزمن كانت قديمة جدًّا لكنها راقت لها بعض الشئ أغانٍ تحمل كالماس كل ما قدم ومرت به السنوات زاد لمعانه لا أكثر مرت قرابة النصف ساعة تراقب المارة كلهم تراقب خطواتهم وتحركاتهم تحكى حكاياتهم تنسج آهاتهم ترسم ضحكتهم تخطى معهم في الطريق تستمع إلى الراديو في أمل بعيد المنال لكن لا مفر منه تتناول زجاجة عصير أخرى وبدأت تفقد الأمل رويدا رويدا ....

أنه هنا ببساطة يلوح بيده في عصبية لبسنت لا يصل لمسامعها حرف مما يقوله لكنها تقرأ المشهد كله بعيناها يبدو لها أنه يترجاها لتصبر مجددا وتكف عن تذمرها المعتاد يااااه لكنه لم يفهم أبدا كيف لهم أن يتوقفوا عن التذمر وهن معشر النساء وأحفاد حواء لن يصيروا نساء بعد اذا توقفوا عن التذمر ارتفعت دقات قلبها قليلا لا زال الطقس باردا هم في شهر فبراير

وتشعر بدفء من داخلها تريد أن تركض إليه وتضمه لا يهما من المخطئ ولا من وصل بهم إلى تلك المسافات البعيدة لكنه هنا هو أتى أيضًا وترجو أن يعنى له الأمر أكثر من مجرد وعد عليهم الالتزام به بين حينا وآخر ...

- ماما ... يا ماما أنا شايف بابا وبسنت هناك مش هنروحلهم !!؟ بقى وحشونى جدًّا عاوز أروحلهم

- أيوه يا روح مامى حاضر يلا بينا بس الأول امسك ايد مامى حبيبتك وأحنا بنعدى الشارع زى ما اتفقنا ولا ايه !!

أمسك بيدها وهو يعدل ياقة قميصه ويسير زهوا بنفسه حتى نظرتهم بسنت من الجهة الأخرى كانت بسنت أقل لباقة من توأمها حبيب أن تستأذن أبيها تركت أبيها وهى تصرخ

- حبيب ..... يا حبيب

خانتها يدها وهى تمسك بيد ابنها لم تستطع كبحه وهو يجرى لها لكى يلاقها في منتصف الشارع صارخا بدوره

- بسنت ... بسنت أخيرا قابلتك تانى ... بابا .. يا بابا

لقد اشتاقت إليها بدلعها ولسانها السليط وطبعها العنيد اشتقت لتصرفاتها الصبيانية وصوتها العالى ركضت هى الأخرى تجاههم تضمهم لحضنها ...

عدا هو وقف على مسافة منهم ينظر لهم صامتا للغاية ينظر كلاً منهما للآخر ويتسائل هل نزل بعد أن فوت السنة قبل الفائتة لم يمتلك أحدا منهم الإجابة على ذلك ....

لن أطيل عليك تفاصيل الخاتمة من ههنا وحتى نهاية اليوم كانوا يجلسون هما الأربعة في أحد المطاعم كلاً منهم يبدأ طبقه الخاص من الحافة الأبعد كما اعتادوا تناول الطعام بحيث تكون أول ملعقة هى الأبعد عن حافته وآخر ملعقة هى الأقرب لحافته لا نملك أجوبة عما سوف يصير في المستقبل فقط الزمن وحده يعرف ...

تـــمـــــت بحمـــــد اللـــه

شارك سطورك مع العالم

01122380443